اَلْمَزْمُورُ السَّادِسُ وَالثَّلاَثُونَ

لإِمَامِ الْمُغَنِّينَ. لِعَبْدِ الرَّبِّ دَاوُدَ

1نَأْمَةُ مَعْصِيَةِ الشِّرِّيرِ فِي دَاخِلِ قَلْبِي أَنْ لَيْسَ خَوْفُ اللهِ أَمَامَ عَيْنَيْهِ، 2لأَنَّهُ مَلَّقَ نَفْسَهُ لِنَفْسِهِ مِنْ جِهَةِ
وِجْدَانِ إِثْمِهِ وَبُغْضِهِ. 3كَلاَمُ فَمِهِ إِثْمٌ وَغِشٌّ. كَفَّ عَنِ التَّعَقُّلِ عَنْ عَمَلِ الْخَيْرِ. 4يَتَفَكَّرُ بِالإِثْمِ عَلَى مَضْجَعِهِ. يَقِفُ
فِي طَرِيقٍ غَيْرِ صَالِحٍ. لاَ يَرْفُضُ الشَّرَّ.

5يَا رَبُّ، فِي السَّمَاوَاتِ رَحْمَتُكَ. أَمَانَتُكَ إِلَى الْغَمَامِ. 6عَدْلُكَ مِثْلُ جِبَالِ اللهِ، وَأَحْكَامُكَ لُجَّةٌ عَظِيمَةٌ.
النَّاسَ وَالْبَهَائِمَ تُخَلِّصُ يَا رَبُّ. 7مَا أَكْرَمَ رَحْمَتَكَ يَا اللهُ، فَبَنُو الْبَشَرِ فِي ظِلِّ جَنَاحَيْكَ يَحْتَمُونَ. 8يَرْوَوْنَ مِنْ دَسَمِ
بَيْتِكَ، وَمِنْ نَهْرِ نِعَمِكَ تَسْقِيهِمْ. 9لأَنَّ عِنْدَكَ يَنْبُوعَ الْحَيَاةِ. بِنُورِكَ نَرَى نُوراً. 10أَدِمْ رَحْمَتَكَ لِلَّذِينَ يَعْرِفُونَكَ،
وَعَدْلَكَ لِلْمُسْتَقِيمِي الْقَلْبِ. 11لاَ تَأْتِنِي رِجْلُ الْكِبْرِيَاءِ، وَيَدُ الأَشْرَارِ لاَ تُزَحْزِحْنِي. 12هُنَاكَ سَقَطَ فَاعِلُو الإِثْمِ.
دُحِرُوا فَلَمْ يَسْتَطِيعُوا الْقِيَامَ.

شر الإنسان وصلاح الله

يقدم لنا مزمورنا صورتين متناقضتين، أولاهما للأشرار ذوي المبادئ والأعمال الفاسدة، الذين رفضوا الله ومخافته، وثانيتهما لمحبة الله التي بلا حدود. ويرى المرنم نفسه بين هاتين القوتين الكبيرتين، فيخاف أن يقع فريسة الشر والشرير، فيدعو: «لا تأتني رِجْلُ الكبرياء، ويد الأشرار لا تزحزحني» (آية 11) ويطلب من الله المحب رحمته وخلاصه، لأنه «عبد الرب» (وهو لقبه في عنوان هذا المزمور، وعنوان مز 18). ويمكن تلخيص أفكار المزمور في المثَل القائل: «أَمَا يضلُّ مخترعو الشر؟ أما الرحمة والحق فيهديان مخترعي الخير» (أم 22: 14).

في هذا المزمور نجد:

أولاً – مبادئ الشرير وأعماله (آيات 1–4)

ثانياً – مبادئ الله وأعماله (آيات 5 –9)

ثالثاً – صلاة المرنم (آيات 10–12)

أولاً - مبادئ الشرير وأعماله

(آيات 1-4)

1 - مبادئ الشرير: (آيتا 1، 2).

(أ) الشرير لا يخاف الله: «نأمة (أنين داخلي) معصية الشرير في داخل قلبي: أن ليس خوف الله أمام عينيه» (آية 1). قد تعني الآية أن الأنين في قلب المرنم وهو يرى شر الأشرار وثورتهم ضد الله وارتدادهم عنه، كما بكى المسيح على أورشليم لأنها لم تعرف ما هو لسلامها (لو 19: 41، 42). وقد تعني أن الأنين في قلب الشرير وهو يعلن ثورته ضد الله ويبتعد عنه. ويمكن أن تُترجَم هذه الآية: «توسوس المعصية للشرير في صميم قلبه» (بحسب ما جاء في إحدى الترجمات).

«ليس خوف الله أمام عينيه» لأنه يظن أن الله لا يُحسِن ولا يُسيء (صف 1: 12) وأنه لا دينونة على الشر، ولا ضرورة للتعبُّد. إن عينيه مفتوحتان تريان كيف يكسب رزقاً أكثر، ولا يهم إن كان الطريق إليه حلالاً أو حراماً، وهو يعرف الكثير عن اللذة الحسيَّة، والكراهية، والانتقام، والكذب، والغش، لكنه مظلم الفكر في الأمور الروحية، لأن إبليس «إله هذا الدهر قد أعمى أذهان غير المؤمنين لئلا تضيء لهم إنارة إنجيل مجد المسيح، الذي هو صورة الله» (2كو 4: 4). ينقاد المؤمن بكلمة الله التي هي سراجٌ لرِجْله ونور لسبيله (مز 119: 105) وينقاد الشرير بأفكاره المظلمة «لأن من القلب تخرج أفكار شريرة: قتل، زنى، فسق، سرقة، شهادة زور، تجديف. هذه هي التي تنجس الإنسان» (مت 15: 19).

(ب) الشرير يمدح نفسه: «لأنه ملَّق نفسه لنفسه من جهة وِجْدان إثمه وبُغضه» (آية 2). توغَّل الشرير في الشر والبُغض، وهو يُقنع نفسه أن إثمه وبغضه لن يُكتشفا، وأنه على حق. مسكين هذا الشرير، لأن خداع النفس أكثر الأمور خطراً على صاحبها، فإن خدع إنسانٌ غيره فهو يدرك في أعماق نفسه أنه مخادع. لكن إن ملَّق نفسه لنفسه، وصدَّق كذبه، فمن يقنعه أنه خاطئ يحتاج للتوبة؟

2 – تصرُّفات الشرير: (آيتا 3، 4).

(أ) كلامه شرير: «كلام فمه إثم وغش» (آية 3أ). يخرج من فمه كلام أثيم وغير مستقيم. لقد ملَّق نفسه لنفسه. فإن كان قد خدع نفسه، فهل يكثر عليه أن يغشَّ غيره ويخدعه؟

(ب) تفكيره شرير: «كَفَّ عن التعقُّل، عن عمل الخير» (آية 3ب). لعله كان متعقِّلاً وصانع خير ذات يوم فاكتشف أن التعقل لن يكسبه كثيراً من متاع هذه الدنيا، فكفَّ عن التعقُّل وعمل الخير، مفضِّلاً المكسب السريع المؤقت على الأبدية! وعندما يكفُّ الإنسان عن الاتصال بالله يصبح جاهلاً أحمق، ويقع فريسةً لإبليس.

(ج) عمله شرير: «يتفكَّر بالإثم على مضجعه. يقف في طريقٍ غير صالح. لا يرفض الشر» (آية 4). في الليل، والإنسان على مضجعه، يجب أن يراجع أحداث يومه ويتأملها بالشكر على الصالح، وبالتوبة عن الخطأ. ولكن هذا الشرير بدأ شرَّه فكراً على سريره «يتفكر بالإثم» ثم وقف في طريق غير صالح، ثم لم يرفض عمل الشر. «ويلٌ للمفتكرين بالبُطل والصانعين الشر على مضاجعهم. في نور الصباح يفعلونه، لأنه في قدرة يدهم» (مي 2: 1). وكان يجب أن يسمع كلمات المزمور الأول: «طوبى للرجل الذي لم يسلك في مشورة الأشرار، وفي طريق الخطاة لم يقف، وفي مجلس المستهزئين لم يجلس» (مز 1: 1).

هذا وصفٌ للخاطئ في طبيعته وفي أسلوب تفكيره وفي تصرفه. فإن كنا قد رجعنا إلى الله تائبين، وملَكَ الربُّ على تفكيرنا وسلوكنا، فلنصلِّ أن نثمر ثمر الروح القدس: محبة، فرح، سلام.

ثانياً - مبادئ الله وأعماله

(آيات 5-9)

يئس المرنم من الناس، فرفع وجهه إلى الله، ويا لها من نظرة لطيفة ومحيية. لقد رأى مبادئ الله في: رحمته، وأمانته، وعدله. ورأى أعماله: في الخلاص، والحماية، والإشباع، والإحياء، والإرشاد.

1 - مبادئ الله: (آيتا 5، 6أ).

(أ) مبدأ الرحمة: «يا رب، في السماوات رحمتك» (آية 5أ). رحمته عالية إلى السماوات، في مغفرة الخطايا، واستجابة الصلاة، وكتابة أسمائنا في سفر الحياة، وشفاعة المسيح فينا، وفي أنه يرسل ملائكته إلى عبيده ليخدموهم. ورحمته أيضاً على الأرض لأنه «لا يدع رِجْلك تزلّ. لا ينعس حافظك» (مز 121: 3). إنه من فوق عرشه يتنازل فيُعيننا ويدبِّر أمورنا ويرعانا. وعندما نصل إلى سمائه سنكتشف مراحمه التي لم نرَها ونحن على الأرض بسبب محدودية إدراكنا، فكم شملتنا رحمتُه بطريقةٍ لم تخطر على بالنا أبداً!

هناك ثلاث سماوات: الأولى سماء الطيور، وفيها نرى رحمته مع الطيور، لأن واحداً منها لا يسقط بدونه، ولا يبيت منها واحدٌ جائعاً (مت 6: 26 و10: 29). والثانية سماء النجوم، وفيها نرى «القمر والنجوم التي كوَّنتَها» (مز 8: 3).. «الفَلَك يُخبر بعمل يديه» (مز 19: 1) لأنه ثبَّتها في مكانها لتقول لكل مؤمن: الذي حفظ الأفلاك في موقعها سيحفظك فلا تتزعزع، وسيسندك فلا تخف. والسماء الثالثة هي سماء الله من حيث جاء الابن الوحيد إلى أرضنا وبذل نفسه عنا ليفدينا، فحمل خطايانا، وصار إنساناً مثلنا ليجعل منا شركاء الطبيعة الإلهية (2بط 1: 4).

(ب) مبدأ الأمانة: «أمانتك إلى الغمام» (آية 5ب). هي عالية ورفيعة وفوق إدراك البشر. لم يكن المرنم في زمانه يقدر أن يصل إلى ارتفاع الغمام، فضرب بارتفاعها المثَل. وما أعظم أمانة الله في كل وعدٍ قطعه على نفسه. إن كنا غير أمناء معه فهو يبقى أميناً، لن يقدر أن ينكر نفسه (2تي 2: 13). لم تسقط كلمة واحدة من جميع الكلام الصالح الذي وعد به شعبه. الكل صار لهم (يش 23: 14).

(ج) مبدأ العدالة: «عدلك مثل جبال الله، وأحكامك لجَّة عظيمة» (آية 6أ). والتعبير «جبال الله» يعني الجبال العظيمة عظمة الله. عدل الله ثابت كالجبل، ولا يمكن أن يختفي. ظَلَمَ البشرُ المرنم، لكن الرب هو العادل. تزعزعت الأرض من تحته، فوقف الرب إلى جواره وثبَّته وطمأنه وأعطاه حقه، ومنحه مواعيده العظمى والثمينة، لأن «أحكامك لجَّة عظمة». وصاياه نهر سباحة لا يُعبَر، ومهما بلغت معرفتنا الكتابية فستبقى أحكامه لجة عظيمة، لا قرار لها، عميقة لا يقدر أحدٌ أن يدركها، كما أنها «واسعة جداً» (مز 119: 96). عندما يقول المؤمن إن شَعر رأسه معدود، وإن واحدة منها لا تسقط إلا والآب يعرفها، قد يبدو هذا أسلوب مبالغة.. لا، هذا كلام حرفي (مت 10: 30). يا لعُمق غِنى الله وحكمته وعِلمه! ما أبعد أحكامه عن الفحص وطرقه عن الاستقصاء!» (رو 11: 33).

2 - أعمال الله: (آيات 6ب-9).

(أ) الله يخلّص: «الناس والبهائم تخلِّص يا رب» (آية 6ب). يخلّص الله الناس من الجوع، ومن الحرب (مز 27: 1-3) ومن المرض (لو 8: 36) ومن الخطية (لو 19: 10). وهو يخلِّص البهائم أيضاً، فهي خليقته، يهتم بها ويدبِّر طعامها. «مَن يهيِّئ للغراب صيده إذ تنعب فراخه إلى الله، وتتردَّد لعدم القوت؟» (أي 38: 41). من يعتني

بالطيور، هل بات واحد منها بغير عشاء؟ إنها «لا تزرع ولا تحصد ولا تجمع إلى مخازن، وأبوكم السماوي يقوتها» (مت 6: 26). «كلها إياك تترجى لترزقها قُوتَها في حينه. تعطيها فتلتقط. تفتح يدك فتشبع خيراً» (مـز 104: 27، 28). لـئن خلَّص البهائم، فكم يخلصنا! لئن أطعم الطيور، فكم يطعمنا! لئن اعتنى بالخليقة كلها، فكم يعتني بك! مـا أسـعدنا ونحـن نسمعه يقول: «أشفق أنا على نينوى المدينة العظيمة التي يوجد فيها أكثر من اثنتي عشرة ربوة (120 ألفاً) من الناس الذين لا يعرفون يمينهم من شمالهم (هم الأطفال)، وبهائم كثيرة» (يون 4: 11).

(ب) الله يحمـي: «ما أكرمَ رحمتك يا الله، فبنو البشر في ظل جناحيك يحتمون» (آيـة 7). تمتـدُّ رحمـة الله وحمايته إلى البشر، كل البشر، فهو رب العالمين، كما تمتد إلى كل مخلوقاته. ومحبته كريمة تُغدق علـيهم نِعَمـه بغيـر استحقاق فيهم، فيحتمي بنو البشر في ظل جناحيه. إنهم بنو آدم، بنو التراب والضعف والخطية، ولكنه يحميهم، ولو أنهـم كثيراً ما يحاولون الاحتماء في ظل أعمالهم أو ظل البشر! يظن الإنسان أنه يملك صحة فتضيع، أو مالاً فينتهي. يظـن أن له صديقاً أو شريك حياة، فإذا به يتركه. دعونا نحتمي تحت الظل الوحيد الذي يستحق أن نحتمي فيه، لأنه باقٍ دائماً. قال بوعز لراعوث: «ليكافئ الرب عملك، وليكن أجرك كاملاً من عند الرب إله إسرائيل الذي جئـتِ لكـي تحتمـي تحـت جناحيه» (را 2: 12). فلنقُل له: «احفظني مثل حدقة العين. بظل جناحيك استُرني» (مـز 17: 8). «ارحمنـــي يـا الله ارحمنـي، لأنه بك احتمـت نفسـي، وبظل جناحيك أحتمي إلى أن تعبر المصائب» (مز 57: 1).

(ج) الله يُـروي: «يُروَوْن من دسم بيتك، ومن نهر نِعَمك تسقيهم» (آية 8). لا شك أن المرنم يذكر الماء الـذي خرج من الصخرة ليروي شعبه في الصحراء (خر 17 وعد 20) فقال إن الرب يرتب لشعبه مائدة تجاه مضايقيهم، ويجعل كؤوسهم ريا (مز 23: 5). والكلمة «نِعَم» في الأصل العبري هي صيغة الجمع لكلمة «عدن» الجنة التي لم يعوز آدم فيها شيء. ويقول المرنم إن الله يسقيه من نهر «عدنات» جنات فيشرب ويرتوي. قال المسيح للسامرية: «من يشرب من الماء الذي أعطيه أنا فلن يعطش إلى الأبد. بل الماء الـذي أعطيـه يصـير فيـه ينبـوع مـاء ينبـع إلـى حيـاة أبديـة» (يو 4: 14) «فإن الرب قد عزَّى صهيون. عزَّى كل خِربها ويجعل بَرِّيَّتَها كعدن، وباديتها كجنَّة الـرب» (إش 51: 3). وهذا الارتواء أبدي، فيقول الرائي: «الحمل الذي في وسط العرش يرعاهم ويقتادهم إلى ينابيع ماء حية، ويمسح الله كـل دمعة من عيونهم» (رؤ 7: 17).

(د) الله يحيـي: «لأن عندك ينبوع الحياة» (آية 9أ). الرب هو المحيي، الذي يعطي الحياة ويحفظها ويضـمنها، وهو مصدر كل سرور. أخذ تراباً من الأرض ونفخ في أنفه نسمة حياة، فصار آدم نفساً حية (تـك 2: 7). ولمـا سـقط الإنسان انفصل عن الله وصار ميتاً بالذنوب والخطايا، فجاءنا المسيح مخلِّصاً «لأنه هكذا أحبَّ الله العالم حتى بـذل ابنـه الوحيد، لكي لا يهلك كل من يؤمن به، بل تكون له الحياة الأبدية» (يو 3: 16).

(هـ) الله ينير: «بنورك نرى نوراً» (آية 9ب). ينير الله حياة المؤمن بشخصه الكريم، وينيرها بنور كلمته التـي هي «سراج لرجلي ونور لسبيلي» (مز 119: 105)، وينيرها بالمسيح نور العالم «لأن الله الذي قال أن يشرق نورٌ مـن ظلمة هو الذي أشرق في قلوبنا لإنارة معرفة مجد الله في وجه يسوع المسيح» (2كو 4: 6). ويُبقي الرب المـؤمن فـي حضرته، ويضيء عليه، لأن «فيه كانت الحياة والحياة كانت نور الناس، والنور يضيء فـي الظلمـة» (يـو 1: 4، 5). فلنسمع الوصية: «تحب الرب إلهك، وتسمع لصوته، وتلتصق به، لأنه هو حياتك، والذي يطيل أيامك» (تث 30: 20).

ثالثاً ـ صلاة المرنم

(آيات 10-12)

1 - يطلب دوام الرحمة والعدل: «أَدِم رحمتك للذين يعرفونك، وعدلك للمستقيمي القلب» (آيـة 10). كانت رحمة الله على المرنم، وقد وصفها في آيات 5-9، وهو يريدها أن تستمر. كأنه يقول للرب: كما كنتَ كُن بغير تغييـر. وكلمـة «أَدِم» تحمل معنى الامتداد، فهي تطلب استمرارية الرحمة. وكلما يعطينا الله أكثر نشعر أننا نحتاج إليه أكثر من أي وقت مضى. ويطالب المرنم بالرحمة والعدل «لمستقيمي القلب» وهو لا يقصد أصحاب الاستقامة الكاملة، فـلا يوجـد إنسـان مستقيم القلب استقامة كاملة، وباستمرار. لكن المقصود هو استقامة النيَّة والرغبة في عمل مسرة الله.

2 - يطلب الحمايـة: «لا تأتِني رِجْلُ الكبرياء، ويد الأشرار لا تزحزحْني» (آية 11). يطلب المرنم مـن الـرب أن يحميه وألاّ يسمح للمتكبِّر أن يطأه برِجْله أو أن يؤذيه بيده، كأن يطرده من بيته فيصبح متشرِّداً شحاذاً، أو أن يقتله. وقـد استُخدِمت كلمة «زحزحة» عن السبي كما قال الرب: «لا أعود أزحزح رِجْل إسـرائيل مـن الأرض» (2مـل 21: 8). ويطلب المرنم حماية الرب، فلا يطرده العدوُّ من بيته ليهيم على وجهه في أرض غريبة، كما حدث عندما اضطُرَّ داود أن يطلب الحماية مـن ملك جت (1صم 21).

3 – يطلب سقوط الأثيم: «هناك سقط فاعلو الإثم. دُحِروا فلم يستطيعوا القيام» (آية 12). يرى المرنم بعين الإيمان نهاية الأشرار ودمارهم لأنهم فاعلو إثم، يقول عنهم النبي للرب: «هم أموات لا يحيون.. لذلك عاقبتَ وأهلكتهم، وأبدتَ كل ذكرهم» (إش 26: 14). إن نجاح الأشرار هو إلى حين، ولن يربحوا المعركة الأخيرة. والمرنم لا يفرح بسقوطهم، لكنـه يرى السقوط قادماً عليهم. «وإله السلام سيسحق الشيطان تحت أرجلكم سريعاً» (رو 16: 20). «ما أكرم رحمتك يـا الله، فبنو البشر في ظل جناحيك يحتمون. يروون من دسم بيتك، من نهر نِعَمك تسقيهم».

اَلْمَزْمُورُ السَّابِعُ وَالثَّلاَثُونَ

لِدَاوُدَ

1لاَ تَغَرْ مِنَ الأَشْرَارِ، وَلاَ تَحْسِدْ عُمَّالَ الإِثْمِ، 2فَإِنَّهُمْ مِثْلَ الْحَشِيشِ سَرِيعاً يُقْطَعُونَ، وَمِثْلَ الْعُشْبِ
الأَخْضَرِ يَذْبُلُونَ. 3اتَّكِلْ عَلَى الرَّبِّ وَافْعَلِ الْخَيْرَ. اسْكُنِ الأَرْضَ وَارْعَ الأَمَانَةَ. 4وَتَلَذَّذْ بِالرَّبِّ فَيُعْطِيَكَ سُؤْلَ
قَلْبِكَ. 5سَلِّمْ لِلرَّبِّ طَرِيقَكَ وَاتَّكِلْ عَلَيْهِ وَهُوَ يُجْرِي، 6وَيُخْرِجُ مِثْلَ النُّورِ بِرَّكَ وَحَقَّكَ مِثْلَ الظَّهِيرَةِ. 7انْتَظِرِ
الرَّبَّ وَاصْبِرْ لَهُ، وَلاَ تَغَرْ مِنَ الَّذِي يَنْجَحُ فِي طَرِيقِهِ، مِنَ الرَّجُلِ الْمُجْرِي مَكَايِدَ. 8كُفَّ عَنِ الْغَضَبِ، وَاتْرُكِ
السَّخَطَ، وَلاَ تَغَرْ لِفِعْلِ الشَّرِّ، 9لأَنَّ عَامِلِي الشَّرِّ يُقْطَعُونَ، وَالَّذِينَ يَنْتَظِرُونَ الرَّبَّ هُمْ يَرِثُونَ الأَرْضَ. 10بَعْدَ
قَلِيلٍ لاَ يَكُونُ الشِّرِّيرُ. تَطَّلِعُ فِي مَكَانِهِ فَلاَ يَكُونُ. 11أَمَّا الْوُدَعَاءُ فَيَرِثُونَ الأَرْضَ، وَيَتَلَذَّذُونَ فِي كَثْرَةِ السَّلاَمَةِ.

12الشِّرِّيرُ يَتَفَكَّرُ ضِدَّ الصِّدِّيقِ وَيُحَرِّقُ عَلَيْهِ أَسْنَانَهُ. 13الرَّبُّ يَضْحَكُ بِهِ لأَنَّهُ رَأَى أَنَّ يَوْمَهُ آتٍ!
14الأَشْرَارُ قَدْ سَلُّوا السَّيْفَ وَمَدُّوا قَوْسَهُمْ لِرَمْيِ الْمِسْكِينِ وَالْفَقِيرِ، لِقَتْلِ الْمُسْتَقِيمِ طَرِيقُهُمْ. 15سَيْفُهُمْ يَدْخُلُ فِي
قَلْبِهِمْ، وَقِسِيُّهُمْ تَتَكَسَّرُ.

16اَلْقَلِيلُ الَّذِي لِلصِّدِّيقِ خَيْرٌ مِنْ ثَرْوَةِ أَشْرَارٍ كَثِيرِينَ، 17لأَنَّ سَوَاعِدَ الأَشْرَارِ تَتَكَسَّرُ، وَعَاضِدُ
الصِّدِّيقِينَ الرَّبُّ. 18الرَّبُّ عَارِفٌ أَيَّامَ الْكَمَلَةِ، وَمِيرَاثُهُمْ إِلَى الأَبَدِ يَكُونُ. 19لاَ يُخْزَوْنَ فِي زَمَنِ السُّوءِ، وَفِي
أَيَّامِ الْجُوعِ يَشْبَعُونَ. 20لأَنَّ الأَشْرَارَ يَهْلِكُونَ، وَأَعْدَاءُ الرَّبِّ كَبَهَاءِ الْمَرَاعِي. فَنُوا. كَالدُّخَانِ فَنُوا. 21الشِّرِّيرُ
يَسْتَقْرِضُ وَلاَ يَفِي، أَمَّا الصِّدِّيقُ فَيَتَرَأَّفُ وَيُعْطِي. 22لأَنَّ الْمُبَارَكِينَ مِنْهُ يَرِثُونَ الأَرْضَ، وَالْمَلْعُونِينَ مِنْهُ
يُقْطَعُونَ.

23مِنْ قِبَلِ الرَّبِّ تَتَثَبَّتُ خَطَوَاتُ الإِنْسَانِ، وَفِي طَرِيقِهِ يُسَرُّ. 24إِذَا سَقَطَ لاَ يُنْطَرِحُ، لأَنَّ الرَّبَّ مُسْنِدٌ
يَدَهُ. 25أَيْضاً كُنْتُ فَتىً وَقَدْ شِخْتُ، وَلَمْ أَرَ صِدِّيقاً تُخُلِّيَ عَنْهُ، وَلاَ ذُرِّيَّةً لَهُ تَلْتَمِسُ خُبْزاً. 26الْيَوْمَ كُلَّهُ يَتَرَأَّفُ
وَيُقْرِضُ، وَنَسْلُهُ لِلْبَرَكَةِ.

27حِدْ عَنِ الشَّرِّ وَافْعَلِ الْخَيْرَ، وَاسْكُنْ إِلَى الأَبَدِ، 28لأَنَّ الرَّبَّ يُحِبُّ الْحَقَّ وَلاَ يَتَخَلَّى عَنْ أَتْقِيَائِهِ. إِلَى
الأَبَدِ يُحْفَظُونَ. أَمَّا نَسْلُ الأَشْرَارِ فَيَنْقَطِعُ. 29الصِّدِّيقُونَ يَرِثُونَ الأَرْضَ وَيَسْكُنُونَهَا إِلَى الأَبَدِ. 30فَمُ الصِّدِّيقِ
يَلْهَجُ بِالْحِكْمَةِ، وَلِسَانُهُ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ. 31شَرِيعَةُ إِلَهِهِ فِي قَلْبِهِ. لاَ تَتَقَلْقَلُ خَطَوَاتُهُ. 32الشِّرِّيرُ يُرَاقِبُ الصِّدِّيقَ
مُحَاوِلاً أَنْ يُمِيتَهُ. 33الرَّبُّ لاَ يَتْرُكُهُ فِي يَدِهِ، وَلاَ يَحْكُمُ عَلَيْهِ عِنْدَ مُحَاكَمَتِهِ. 34انْتَظِرِ الرَّبَّ وَاحْفَظْ طَرِيقَهُ
فَيَرْفَعَكَ لِتَرِثَ الأَرْضَ. إِلَى انْقِرَاضِ الأَشْرَارِ تَنْظُرُ.

35قَدْ رَأَيْتُ الشِّرِّيرَ عَاتِياً وَارِفاً مِثْلَ شَجَرَةٍ شَارِقَةٍ نَاضِرَةٍ. 36عَبَرَ فَإِذَا هُوَ لَيْسَ بِمَوْجُودٍ، وَالْتَمَسْتُهُ فَلَمْ
يُوجَدْ. 37لاَحِظِ الْكَامِلَ وَانْظُرِ الْمُسْتَقِيمَ، فَإِنَّ الْعَقِبَ لإِنْسَانِ السَّلاَمَةِ، 38أَمَّا الأَشْرَارُ فَيُبَادُونَ جَمِيعاً. عَقِبُ
الأَشْرَارِ يَنْقَطِعُ. 39أَمَّا خَلاَصُ الصِّدِّيقِينَ فَمِنْ قِبَلِ الرَّبِّ، حِصْنِهِمْ فِي زَمَانِ الضِّيقِ، 40وَيُعِينُهُمُ الرَّبُّ وَيُنَجِّيهِمْ.
يُنْقِذُهُمْ مِنَ الأَشْرَارِ وَيُخَلِّصُهُمْ، لأَنَّهُمُ احْتَمُوا بِهِ.

لا تحسد الأشرار

في مزمور 36 تأمل المرنم بأسف نجاح الأشرار رغم أعمالهم الأثيمة، ولكنه وجد عزاءه في عدل الله ورحمته. وفي هذا المزمور يتأمل مرة أخرى في نجاح الأشرار، ويشجع المؤمنين بقوله إن مصير الأشرار هو الهلاك والبوار، أما الودعاء فيرثون الأرض. وقد وجد المؤمنون في كل العصور مشكلةً في نجاح الأشرار ومتاعب الأبرار، حتى أنهم تذمَّروا، وحسدوا الأشرار على نجاحهم، وكاد بعضهم يفقدون إيمانهم في صلاح الله وعدله. واحتاجوا جميعاً إلى من يشجعهم في محنتهم الروحية.

في هذا المزمور التعليمي، والذي يشبه حكمة سفر الأمثال، يوضِّح المرنم أن نجاح الشرير لا يستمر، فلا بد أن عقاب شرَّه يدركه أخيراً. كما يوضح أن حالة الصدِّيق أفضل من حالة الشرير، حتى لو عانى الصدّيق من المتاعب، لأن تعبه وقتي، أما عقاب الشرير فأبدي. ويحل المرنم المشكلة ببساطة بالغة فيقول: ضَعْ ثقتك في الرب وانتظِره، وسيكون كل شيء رائعاً في النهاية. سيهلك الأشرار ويُكافأ الأبرار. أما الآن، فإن المؤمن يتلذَّذ بعبادة الرب ويجد فرحه بالقرب منه.

ومزمورنا من المزامير الأبجدية، تبدأ كل آيتين منه بحرف من حروف الأبجدية العبرية. وقد تأملنا من قبل ثلاثة مزامير أبجدية هي: 9، 25، 34.

في هذا المزمور نجد:

أولاً – لا تحسد الأشرار (آيات 1–11)

ثانياً – مكائد الشرير ترتدُّ إليه (آيات 12–15)

ثالثاً – سبع مفارقات بين الصدِّيقين والأشرار (آيات 16–40)

أولاً - لا تحسد الأشرار

(آيات 1-11)

يبدأ المزمور بنصيحة تقول: «لا تغَرْ من الأشرار، ولا تحسد عُمّال الإثم» (آية 1). عند الأشرار ما يجعل الصدِّيق يغار، لأنهم ناجحون زاهون مثل العشب الأخضر، بينما المؤمن مغموم مضطهَد، فيحزن الصدّيق وهو يرى نجاح من لا يستحق، ويقول مع آساف المرنم: «غرتُ من المتكبِّرين إذ رأيتُ سلامة الأشرار» (مز 73: 3) ويتساءل مع النبي: «أبرُّ أنت يا رب من أن أخاصمك، لكن أكلِّمك من جهة أحكامك. لماذا تنجح طريق الأشرار؟» (إر 12: 1 قارن أي 21: 7–15). فإذا تجرَّبْتَ بأن تغار من نجاح الأشرار، فلتضع هذه الغيرة في حجمها، واستمع إلى الحكيم يقول لك: «لا تحسد الظالم ولا تختَرْ شيئاً من طرقه.. لا يحسدنَّ قلبُك الخاطئين، بل كن في مخافة الرب اليوم كله.. لا تحسد أهل الشر ولا تشتهِ أن تكون معهم» (أم 3: 31 و23: 17 و24: 1).

ويقدم المرنم سبعة أسباب تساعد المؤمن على عدم حسد الأشرار:

1 - لا بد أن الشرير يهلك: «فإنهم مثل الحشيش سريعاً يُقطعون، ومثل العشب الأخضر يذبلون» (آية 2). سيصبحون كالعصافة التي تذرّيها الريح (مز 1: 4)«كل جسدٍ عشب، وكل جماله كزهر الحقل. يبس العشب، ذبل الزهر، لأن نفخة الرب هبَّت عليه. حقاً الشعب عشب» (إش 40: 6، 7) وعلى هذا فإن بركات الأشرار مؤقتة، وأكبر نجاح

يحقِّقونه هو النجاح الأرضي الذي يزول مهما طال، وهو لا شـيء بالنسبـة للأبدية التي بلا نهاية، لأنـه «مـاذا ينتفـع الإنسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه؟» (مت 16: 26).

2 – لا بد أن يكون المؤمن أميناً: «اتكِل على الرب وافعل الخير. اسكن الأرض وارْعَ الأمانة» (آية 3). فعـلاج الحسد والغيرة هو ثقتنا بالرب، وعمل الخير، والإقامة بالقرب من الله في الأرض التي قسمها لنا وأرادنا أن نقـيم فيهـا، وحياتنا الأمينة له وللآخرين. وعندما نطيع الوصية سينشغل وقتنا بالله وبخدمته وبأعمالنا الصالحة، فلا نعود نجـد وقتـاً للتذمُّر! فلنضع ثقتنا في الرب ولنعتمد عليه، ولنكن صالحين، ولنترك النتائج لله. عندها سيقول لنا: «نِعِمّاً أيها العبد الصالح والأمين، كنت أميناً في القليل فأُقيمك على الكثير. ادخل إلى فرح سيدك» (مت 25: 21).

3 - لا بد أن يفرح المؤمن بالرب ويتلذَّذ به: «وتلذَّذ بالرب فيعطيك سؤل قلبك» (آية 4). قال أليفـاز التيمـاني: «تعرَّف به واسلَمْ، بذلك يأتيك خير.. لأنك حينئذ تتلذَّذ بالقدير، وترفع إلى الله وجهك. تصلي له فيستمـع لك، ونـذورك توفيهـا. وتجـزم أمـراً فيثـبـت لك، وعلـى طرقـك يضـيء نـور» (أي 22: 21–28). «ذوقوا وانظروا مـا أطيب الرب. طوبى للرجل المتوكل عليه» (مز 34: 8). خُذ فرحك من شركتك مع الله فيعطيك سؤل قلبك الذي تحتاجـه فعلاً، فإننا أحياناً نطلب طلبات ليست في صالحنا. لكن عندما نتلذَّذ بالرب يعطينا السؤل الحقيقي الذي يُشبع قلوبنـا. وهـو يعطي سؤل القلب لأنه صاحـب السلطـان، ولأنـه المحـب. قال المسيح: «دُفع إليَّ كل سلطان فـي السـماء وعلـى الأرض» (مت 28: 18). فليعطنـا الله أن نعرف «عظمة قدرتـه الفائقة نحونا نحن المؤمنيـن، حسـب عمـل شـدة قوته» (أف 1: 19).

4 – لا بد أن يسلِّم المؤمن نفسه للرب: «سلِّم للرب طريقك واتَّكل عليه وهو يُجري. ويُخرِج مثـل النـور بـرَّك وحقَّـك مثـل الظهيـرة» (آيتـا 5، 6). «أَلْـقِ علـى الـرب أعمالـك، فتُثبَّـت أفكـارك» (أم 16: 3) «ملقين كل همِّكم عليه، لأنه هو يعتني بكم» (1بط 5: 7). «أمين هو الذي يدعوكم، الذي سيفعل أيضاً» (1تس 5: 24). فلنسلِّم لله أمورنا، حلوها ومرَّها، ليسندنا ويرشدنا. وهو يُجري دائماً كل ما يتوقعه المؤمن الواثق به، فإنه حـي وفعال وموجود في عالمنا يمارس سلطانه. وعندما يحاول الخطاة التعتيم عليك، فإنه يدافع عنك ويزيح غيوم الشكوك عنك وينصرك، لأنك تتكل عليه وتضع ثقتك فيه، فيُخرِج حقَّك المختفي كالشمس المشرقة، ويتحقَّق معك القـول: «أمـا سـبيل الصديقين فكنورٍ مشرقٍ يتزايد وينير إلى النهار الكامل» (أم 4: 18). افعل الخير كما للرب وليس للنـاس، ومـن الـرب ستنال جزاء الميراث (كو 3: 24) «حينئذ يضيء الأبرار كالشمس في ملكوت أبيهم» (مت 13: 43).

5 - لا بد أن ينتظر المؤمن الرب: «انتظر الرب واصبر له، ولا تَغَرْ من الذي ينجح فـي طريقـه، مـن الرجـل المُجري مكايد» (آية 7). وانتظار الرب يعني السكون أمامه بدون تذمر، والصبر لسماع صوته، وتوقُّع تدخُّله في الموعد المناسب الذي يحدده بحكمته، كما قال المرنم: «إنما لله انتظرَت نفسي. من قِبَله خلاصي» (مز 62: 1) «لأنه هكـذا قـال السيد الرب..: بالرجوع والسكون تخلُصون. بالهدوء والطمأنينة تكون قوتكم» (إش 30: 15) «انتظاراً انتظرت الرب فمال إليَّ وسمع صراخي» (مز 40: 1).

ويتعرض المؤمن للتذمُّر لما يرى نجاح الشرير عن طريق الغش والتحايل، ولكن الصبر أمام الله وانتظار تدخُّله يضع نهايةً للتذمُّر الذي لا لزوم له، لأننا ننتظر عمل الرب، ونؤمن بتوقيته الحكيم، فلا نحرك عقارب الساعة، ولا نفـتح أوراق وردة جميلة قبل موعد تفتُّحها. فلننتظر الرب بصبر، لا صبر البائس العاجز عن الفعل، بل صبر الراجي الـذي يثـق أن

القيامة المجيدة لا بد أن تتبع الصليب، وأن النصـــرة تأتي بعد الحـــرب، وأنه «عند المساء يبيت البـــكاء، وفي الصـــباح ترنُّم» (مز 30: 5).

6 – لا بد أن يضبط المؤمن نفسه: «كُفَّ عن الغضب واترك السَّخط، ولا تغَرْ لفعل الشـــر، لأن عـــاملي الشـــر يُقطَعون والذين ينتظرون الرب هم يرثون الأرض. بعد قليل لا يكون الشرير، تطلَّع في مكانه فلا يكون» (آيات 8–10). يقود الغضب صاحبه إلى الخطإ، لأنه يُنسيه محبة الله وعنايته وعطاياه. وقد ينضم إلى الأشرار في حماقاتهم، كمـــا قـــال آساف، بعد أن رأى نجاح الشرير وتعب المؤمن: «حقاً قد زكَّيتُ قلبي باطلاً» (مز 73: 13). ولكن الرب فتح عينيه على الحق، فقال: «إنما صالح الله لأنقياء القلب» (مز 73: 1). نقِّ قلبك، واترك الغضب لتنال البركـــة الإلهيـــة، ولا تـــنسَ أن مصير الشرير إلى زوال.

7 - لا بد أن يكون المؤمن وديعاً: «أما الودعاء فيرثون الأرض ويتلذَّذون في كثرة السلامة» (آية 11). ولـــيس المقصود فقط أن المؤمن يرث الأرض حرفياً، فالآية تحمل أيضاً معنى روحياً، وهو أننا نربح الناس بمحبتنـــا ووداعتنـــا. كثيرون يرثون أرضاً لا يتلذذون بها، بسبب قلقهم أو بسبب خطيتهم. أما الذين صبروا للرب وانتظـــروه فيرثـــون الأرض ويتلذذون بما أعطاهم. وقد حقق الله هذا الوعد لموسى، الذي يصفه الكتاب بأنه كان وديعاً حليماً، فقال عنه: «أما الرجـــل موسى فكان حليماً جداً أكثر من جميع الناس الذين على وجه الأرض» (عد 12: 3) فقاد بني إسرائيل إلى مشارف أرض الموعد.

قال المسيح: «طوبى للودعاء لأنهم يرثون الأرض» (مت 5: 5). فإن كنا ودعاء يتحقق معنا القول: «ويسكن شـــعبي في مسكن السلام، وفي مساكن مطمئنة، وفي محلات أمينة» (إش 32: 18) «سلامةٌ جزيلة لمحبّي شريعتك، وليس لهـــم معثرة» (مز 119: 165).

ثانياً - مكائد الشرير ترتدُّ إليه
(آيات 12-15)

كثيراً ما لا يشعر الصدِّيق بمكائد الشرير ضده، لأن الصدّيق حسن النية، بسيط القلب والعين. وكثيراً ما يكيد الشـــرير للصدّيق لأنه يعلم أن الصدّيق لا يقاوم الشر إلا بالخير. ولكن لا بد أن مكائد الشرير ترتدُّ عليه بالضرر. عندما أقام المسيح لعازر من الموت آمن به كثيرون، فتضايق شيوخ اليهود وقرروا أن يقتلوا لعازر، ليدفنوا الشاهد على قوة المسيح (يو 12: 9، 10). غريب! أليس إيمانهم بالمسيح أفضل من محاولتهم قتل لعازر؟ لكن الغيرة من نجاح المسيح جعلتهم يكيدون لـــه وللعازر! «الشرير يتفكَّر ضد الصدِّيق».

وفي هذه الآيات الأربع نجد فكرتين:

1 - التفكير في المكيدة: «الشرير يتفكَّر ضد الصدّيق ويحرِّق عليه أسنانه. الرب يضحك به لأنه رأى أن يومه آتٍ» (آيتا 12، 13). كأن الشرير حيوان مفترس يحاول الإمساك بالفريسة وهو يحرِّق أسنانه ليلتهمها. ولكن الرب سبق وقضى على الشرير بالهلاك. لقد حرَّق الملك شاول أسنانه على داود فأخذ يطارده ليهلكه. وذات يوم وشاول يطارد داود وقع فـــي

يد داود، وكان يمكن أن يقتله داود، لكنه قال: الرب سوف يضربه، أو يأتي يومه فيموت، أو ينزل إلى الحــرب ويهلــك. «حاشا لي من قِبَل الرب أن أمدَّ يدي إلى مسيح الرب» (1صم 26: 10، 11) وقد كان!

2 - تنفيذ المكيدة: «الأشرار قد سلّوا السيف ومدّوا قوسهم لرمي المسكين والفقير، لقتل المستقيم طــريقهم. سَــيْفهم يدخل في قلبهم وقِسيُّهم تتكسر» (آيتا 14، 15). فكروا في المكيدة، واستلوا سيوفهم ليغمدوها في الصدور! الأغلب أن داود كان يذكر الملك شاول الذي حاول كثيراً أن يقتله بالرمح وبالسيف، وانتهى شاول بأن سقط على سيفه ومات! (1صم 31: 4). ولعله ذكر ما حدث مع أبشالوم ابنه، الذي قام ضده بانقلاب فاشل، فمات معلقاً على شجرة بعد أن طعنه قائــد جــيش داود بالسيف (2صم 18:9). لقد ارتدَّ السيفان إلى صدري شاول وأبشالوم!

عندما جاء العسكر ليلقوا القبض على المسيح ليصلبــوه، كان يرافقهم ملخــس خــادم رئيــــس الكهنـــــة، فاســتّل بطرس سيفه وضرب ملخس فقطع أذنه، فأعاد المسيح أذن ملخس إلى مكانها، وقال لبطرس: «رُدَّ سيفك إلى مكانــه، لأن كل الذين يأخذون السيف بالسيف يهلكون» (مت 26: 52). فلندع العنفاء للمصير المؤلم الذي هو أجرة خطيــتهم، لأنهــم رفضوا أن يتوبوا. أما جماعة الرب فلتتلذَّذ في كثرة السلامة.

ثالثاً - سبع مفارقات بين الصديقين والأشرار

(آيات 16-40)

1 - مفارقة في التمتع بالثروة: «القليل الذي للصدِّيق خير من ثروة أشرار كثيرين» (آية 16). قــد يكــون عنــد الصدّيق قليل وعند الشرير الكثير، حتى أن الصديق يُجرَّب أن يحسد الشرير. لكن القليل الذي نعلم أننا أخذناه بأمانة وعدل هو خير من دَخْل كبير أُخذ بالظلم. قال الحكيم: «لقمةٌ يابسة معها سلامة خيرٌ من بيت ملآن ذبائح مع خصـــام» (أم 17: 1). «القليل مع مخافة الرب خيرٌ من كنز عظيم مع همٍّ» (أم 15: 16). «القليل مع العدل خيرٌ من دَخْل جزيل بغير حق» (أم 16: 8). إن القليل الذي للصدّيق حلال، وهو يستعمله بحكمة لأنه وكيل أمين على ما أعطاه الله له، ولهذا فهو يستمتع به، ويفيض على جسده صحة، كما أن الصدّيق يستخدم ما عنده لخدمة غيره «اليوم كله يترأف ويُقرض، ونسله للبركـــة» (مز 37: 26). ثم أن الله يبارك الصدّيق وما يملكه، لأنه يطيع وصية الله ويدفع عشور دَخْله لعمل الرب. أما الشرير فلا يستمتع بماله لأنه يسلب الله ولا يدفع عشوره. وهل يتبارك إنسانٌ يسلب حقوق الله؟ (ملا 3: 8) إن الهمَّ يركب قلبه. حتــى إن ضحك، فلن يستمر ضحكه طويلاً!

2 – مفارقة في القوة: «لأن سواعد الأشرار تنكسر، وعاضد الصدِّيقين الرب» (آية 17). ذراعا الشرير قويتــان، تعملان الشر، وتقاومان الصدّيقين، ولكن الله يقاوم الشرير «وتتكسر الذراع المرتفعة (بالكبرياء)» (أي 38: 15). ويســند الله الصدِّيق عندما يحاول الشرير إيقاع الأذى به. قد يظن الشرير أنه قوي، يسنده ظلمه، أو جبروته، أو ماله، أو أصحابه. لكن الرب يكسر سواعد الشرير. وقد تبدو ذراعا الصدّيق ضعيفتان، ولكن الله في محبته يسند هذا الضعيف ويقوّيه.

3 - مفارقة في العمر: (آيات 18–20).

وتقدم هذه الآيات ثلاث حقائق:

(أ) يعرف الرب المؤمنين: «الرب عارف أيام الكَمَلة، وميراثهم إلى الأبد يكــون» (آيــة 18). إنــه يعــرف أسماءهم، ويدعوهم بها (إش 43: 1) وهو يُحصي شعور رؤوسهم (مت 10: 30) ويعرف طاعتهم ومحبتهم له. ويعــرف عدد أيامهم، كما قال أيوب: «أيامه محدودة، وعدد أشهره عندك، وقد عيَّنت أَجَله» (أي 14: 5) وقال المرنم: «في يــدك

آجالي» (مز 31: 15). وهو يعرف ويحدّد ما سيحدث معهم في حياتهم، ويجعل كل الأشياء تعمل معاً للخير لأجلهم، لأنهم مدعوّون حسب قصده (رو 8: 28) وهو يعرف مستقبلهم الأبدي، فقد منحهم ميراثاً لا يفنى ولا يتدنس ولا يضمحل محفوظ في السماوات لأجلهم. وهو يحفظهم ثابتين إلى أن يوصِّلهم إليه لينالوا هذا الميراث (1بط 1: 4، 5).

(ب) يعرف ما يحدث للمؤمنين: «لا يخزون في زمن السوء، وفي أيام الجوع يَشبعون» (آية 19). صحيح أن الصديق يمرُّ بصعوبات وتجيء عليه أيام جوع روحي وفكري وعاطفي ومادي، لكن الرب الذي يسير مع الصدّيق كل الأيام يُخرِجه من جميعها سالماً. «فإذاً الذين يتألمون بحسب مشيئة الله فليستودعوا أنفسهم كما لخالق أمين في عمل الخير» (1بط 4: 19) فيقولون مع داود: «إذا سرتُ في وادي ظل الموت لا أخاف شراً، لأنك أنت معي» (مز 23: 4) ويتحقَّق لهم وعد المسيح: «أنا هو الخبز الحي الذي نزل من السماء. إن أكل أحد من هذا الخبز يحيا إلى الأبد، والخبز الذي أنا أعطي هو جسدي الذي أبذله من أجل حياة العالم» (يو 6: 51).

(ج) يعرف ما سيحل بالأشرار: «لأن الأشرار يهلكون، وأعداء الرب كبهاء المراعي فنوا. كالدخان فنوا» (آية 20). إنهم يهلكون كما تهلك المراعي التي تبدو خضراء، لكن حر الصيف ييبِّسها، وتلتهم الحيوانات خضرتها فتصير جرداء! فما أعظم الفرق بين من يحيا لله ومن يحيا لنفسه! يعرف الرب أيام الكمَلة، ويفارق بينهم وبين الأشرار. صحيح أن أعداء الرب يظهرون كالمراعي الخضراء البهية، لكن سرعان ما يُقال عنهم: «فنوا! كالدخان فنوا».

4 - مفارقة في الأمانة: «الشرير يستقرض ولا يفي، أما الصديق فيترأف ويعطي، لأن المباركين منه يرثون الأرض والملعونين منه يُقطَعون. من قِبَل الرب تتثبَّت خطوات الإنسان، وفي طريقه يُسرُّ. إذا سقط لا ينطرح لأن الرب مسندٌ يده. أيضاً كنت فتى وقد شختُ، ولم أرَ صديقاً تُخُلي عنه ولا ذرية له تلتمس خبزاً. اليوم كله يترأف ويقرض، ونسله للبركة» (آيات 21-26).

وتعلمنا هذه الآيات ثلاث حقائق:

(أ) الشرير يقترض ولا يفي: في أول المزمور كان المرنم يغار من الشرير لأنه ثري وناجح. ولكن نجاح الشرير لم يستمر، فراح يقترض وعجز عن السداد. أو أنه لم يسدِّد لأنه غير أمين. والنتيجة الأليمة أنه يُقطع من الأرض. أما المرنم، الذي يبدو في أول المزمور فقيراً، فقد أعطاه الله ما يكفي حاجاته وحاجات المحيطين به، فأخذ يترأف ويعطي، ويُحسِن إلى المحتاجين، فتمَّ فيه الوصف: «سعيدٌ هو الرجل الذي يترأف ويقرض. يدبِّر أموره بالحق.. فرَّق أعطى المساكين، برُّه قائمٌ إلى الأبد» (مز 112: 5، 9) وتحقق معه الوعد الإلهي: «يباركك الرب إلهك كما قال لك، فتُقرِض أمماً كثيرة وأنت لا تقترض» (تث 15: 6).

(ب) الرب يكره طريق الشرير: يُسرُّ الرب بسلوك الصدّيق، لأن الصديق يُسر بطريق الله، و«كل الذين ينقادون بروح الله فأولئك هم أبناء الله» (رو 8: 14). يتأمل الصدِّيق في حياة المسيح الذي ترك لنا مثالاً لنتبع آثار خطواته، ويسير في آثار تلك الخطوات (1بط 2: 21). وقد يتعثَّر الصدِّيق ويسقط وهو يسير في طريق البر، ولكنه سرعان ما يقوم وينفض عنه ما علق به من أوساخ، لأن الرب يسند يده، كما أمسك المسيح بيد بطرس وهو يكاد يغرق، وأنقذه (مت 14: 31). قال الحكيم: «الصدّيق يسقط سبع مرات ويقوم» (أم 24: 16). ويقول الله: «أنا الرب إلهك، الممسك بيمينك، القائل لك: لا تخف» (إش 41: 13). يمشي المؤمن رحلة الحياة ويده في يد الرب، فإذا حدث وانزلق

لخطإٍ ارتكبه أو لنقصِ حكمته فإن الله يرفعه. «والقادر أن يحفظكم غير عاثرين، ويوقفكم أمام مجده بلا عيبٍ في الابتهاج» (يه 24). ليس كذلك الأشرار، فإنهم عندما يسقطون في الخطية يتمرَّغون فيها ويستمرون في ارتكابهـا، لأنهـا تناسـب طبائعهم الفاسدة.

(ج) الرب يكافئ الصدِّيق: إنه لا يسمح أبداً له ولا لأولاده أن يحتاجوا إلى شيء. أما بنو الشرير فيتيهون تيهاناً لعدم وجود القدوة والتعليم في الأبوين، ويحاصرهم الفقر والجوع، فيلتمسون خبزاً في خِربهم ولا يجدونه (مز 109: 10). ويكرر المرنم أن الصدِّيق يُحسِن ويعطي، ويسلك أولاده في آثار خطواته، لأنهم يتعلَّمون العطاء منه. وعندما نخدم الله خدمة بالمال يكافئنا بالمال، ويكافئ نسلنا مادياً. وعندما نخدمه بأن نسبِّحه ونشهد للآخرين عنه، يكافئنـا بالروحيـات، ويكافئ نسلنا بالطريقة نفسها. دعونا نخدم الله خدمة مادية وخدمة روحية معاً لننال البركتين.

5 - مفارقة في السلوك: «حِدْ عن الشر وافعل الخير، واسكُن إلى الأبد، لأن الرب يحب الحـق، ولا يتخلـى عـن أتقيائه. إلى الأبد يُحفَظون. أما نسل الأشرار فينقطع. الصدّيقون يرثون الأرض، ويسكنونها إلى الأبد» (آيـات 27-29). ينصح المرنم مستمعيه أن يحيدوا عن الشر وأن يفعلوا الخير، كما قال: «حِدْ عن الشر واصنع الخير. اطلب السلامة واسْعَ وراءها» (مز 34: 14) والنتيجة الطبيعية لهذا السلوك السليم أن الرب لا يتخلى عن المؤمن الذي يخافه ويتَّقيه، ولا يتخلى عن نسله، بل يمتعهم بالاستقرار، فيحيا المؤمن إلى الأبد في هذا النسل الذي يباركه الرب، وإلى الأبد يُحفَظـون. ويـرث الصديقون الأرض ويسكنونها إلى الأبد، لأن الرب يبيد الشرير ويمنح بركته للمؤمن، لأنه يحب الحق ويحقِّق القول الحكيم: «لأن المستقيمين يسكنون الأرض، والكاملين يبقون فيها» (أم 2: 21).

لم يتخلَّ الرب أبداً عن خائفيه، لذلك يصلي المرنم قائلاً: «يا رب رحمتك إلى الأبد. عن أعمال يديك لا تتخلَّ» (مـز 138: 8) أما الشرير فلا بد أن يبيد، وينقطع نسله، كما يقول المرنم عنه: «لتنقرض ذريته. في الجيل القادم ليُمحى اسمه» (مز 109: 13).

6 - مفارقة في الحكمة: «فم الصدّيق يلهج بالحكمة، ولسانه ينطق بالحق. شريعة إلهه في قلبه. لا تتقلقل خطواتـه» (آيتا 30 و31). «من فضلة القلب يتكلم الفم. الإنسان الصالح من الكنز الصالح في القلب يُخرِج الصـالحات. والإنسـان الشرير من الكنز الشرير يُخرِج الشرور» (مت 12: 34، 35). والصدّيق هو صاحب الموقف السليم من الله، وهو صاحب القلب الصالح، ولذلك يلهج قلبه بالحكمة الممنوحة له من الله، والمسطَّرة في الوحي المقدس الذي يملأ قلبه، لأن شـعاره: «خبأتُ كلامك في قلبي لكيلا أخطئ إليك» (مز 119: 11). ولأن معه يتحقق قول المسيح: «أنتم الآن أنقياء بسبب الكلام الذي كلمتكم به» (يو 15: 3). إنه يتمم الوصية الموسوية: «لتكن هذه الكلمات التي أنا أوصيك بها اليوم على قلبك. وقُصَّها على أولادك. وتكلم بها حين تجلس في بيتك، وحين تمشي في الطريق وحين تنام وحين تقوم» (تث 6: 6-8). والإنسـان الصديق البار يعرف الحق لأنه يعرف شريعة إلهه، فينطق لسانُه بالحق، ولا تتقلقل خطواته. إنه مثل القائد العسكري يشوع الذي قال الله له: «لا يبرح سفرُ هذه الشريعة من فمـك، بـل تلهج فيـه نهاراً وليلاً، لكي تتحفَّظ للعمل حسب كـل مـا هـو مكتـوب فيـه، لأنـك حينئذ تُصلح طريقك، وحينئذ تُفلح» (يش 1: 8).

وما أعظم الفرق بين حكمة المؤمن المستَمَدّة من كلمة الله وبين جهالة الشرير المبنيَّة على ضلاله. قال الحكيم: «فـم الصديق يُنبِت الحكمة، أما لسان الأكاذيب فيُقطَع. شفتا الصدّيق تعرفان المرضيَّ، وفم الأشـرار أكاذيـب» (أم 10: 31، 32).

7 - مفارقة في العاقبة: (آيات 32-40).

في هذه الآيات التسع يقدم لنا المرنم أربع حقائق عن عاقبة الصديق وعاقبة الشرير:

(أ) الشرير يكيد للصدّيق، ولكن الرب ينجيه: «الشرير يراقب الصديق محاولاً أن يُميته. الرب لا يتركه في يده، ولا يحكم عليه عند محاكمته. انتظر الرب واحفظ طريقه فيرفعك لترث الأرض. إلى انقراض الأشرار تنظر» (آيات 32-34). أعطى الله الصدّيق شرف أن يكون نور العالم. ولما كان الشرير مريض العين فإن النور يؤذيه، ولهذا يقاوم الصدّيق. توبِّخ أعمالُ الصدّيق الصالحة أعمالَ الشرير الرديئة، فيتحرك ضمير الشرير عليه، كما توبَّخ قايين من هابيل (تك 4: 6).

كما أن الصدّيق أحياناً يقاوم أعمال الشرير ويخطِّئ أفكاره ويعرقل خططه ومؤامراته الأثيمة، ولذلك يراقب الشرير الصدّيق محاولاً أن يُميته. قد يجرُّه إلى محاكمة ظالمة باتهامات كاذبة. لكن الله لا يسمح لمكايده أن تقتنص الصدِّيق، ولا يترك الصدِّيق في يد المحاكمة الكيدية. صحيح أن الشرير ينجح أحياناً في الكيد للصدّيق، فتصدُر الأحكام الظالمة ضده، لكن الرب لا بد ينصف مختاريه الصارخين إليه نهاراً وليلاً، حتى لو بدا أنه متمهِّل عليهم (لو 18: 7).

وينصح المرنم المؤمن المفترَى عليه أن ينتظر الرب. وتتكرر فكرة انتظار الرب كثيراً في الوحي المقدس، لأن الإنسان عادة متعجِّل، كما أن المتضايق أكثر تعجُّلاً، لا يقوى على الصبر حتى يجيء التوقيت الإلهي المناسب. ولكن لكل شيء تحت السماوات وقت (جا 3: 1). فليصرخ المؤمن المفترَى عليه: «خاصِم يا رب مخاصميَّ» (مز 35: 1) بمعنى: تَبَنَّ يا رب قضيتي ودافع عني. وينصح المرنم المؤمن أن يحفظ طريق الرب فيرفعه الرب ويورثه الأرض، وينصره على مكايد الشرير الذي لا بد أن ينقرض!

(ب) الشرير يزول: «قد رأيتُ الشرير عاتياً وارفاً مثل شجرة شارقة ناضرة. عبَر، فإذا هو ليس بموجود. والتمستُه فلم يوجَد» (آيتا 35، 36). الشجرة الشارقة الناضرة هي المزروعة في تربتها الطبيعية. ويظهر الشرير كأنه العاتي الزاهي، ولكن نهايته أكيدة. وفي هاتين الآيتين دعوة واضحة للتوبة، فإن الله يعطي النجاح للشرير ليعرِّفه بمحبته وإحسانه، فإن اعترف بفضل الله عليه وتاب غفر الله له. أما إن استمرَّ في شرِّه فإن الشرَّ يُميت الشرير. لقد عرف المرنم شريراً عاتياً مستبداً، زها كشجرة مورقة في أرضها، ولكنه قُطع فجأة ولم يعُد له وجود، لأن «كل شجرة لا تصنع ثمراً جيداً تُقطع وتُلقى في النار» (مت 3: 10).

(ج) مصيران: «لاحِظ الكامل وانظر المستقيم، فإن العقِب لإنسان السلامة. أما الأشرار فيُبادون جميعاً. عقِب الأشرار ينقطع» (آيتا 37، 38). هناك مستقبل متميِّز ورجاء عظيم للصدّيق المستقيم صاحب الموقف السليم من الله. «الصدّيق يَدخُل السلام. يستريحون في مضاجعهم. السالك بالاستقامة» (إش 57: 2). قال الحكيم: «لا يحسدنَّ قلبُك الخاطئين، بل كن في مخافة الرب اليوم كله، لأنه لا بد من ثواب، ورجاؤك لا يخيب» (أم 23: 17، 18). أما الأشرار فيُبادون «لأنه لا يكون ثوابٌ للأشرار. سراج الأثمة ينطفئ» (أم 24: 20). «صوت رُعوبٍ في أذنيه. في ساعة سلام يأتيه المخرِّب.. قبل يومه (موته) يُتوفَّى، وسعفه لا يخضرُّ» (أي 15: 21، 32).

(د) خلاص الصدّيق أكيد: «أما خلاص الصدّيقين فمن قِبَل الرب، حصنهم في زمان الضيق، ويعينهم الرب وينجيهم. ينقذهم من الأشرار ويخلّصهم لأنهم احتموا به» (آيتا 39، 40). تلخِّص هاتان الآيتان المزمور كله، وتقدمان التشجيع للمؤمن المجرَّب المتعَب المتضايق، وتؤكدان له العون الإلهي والحماية الخاصة. ليست نهاية المؤمن

حزناً، بل فرحاً في الرب المنقذ والمخلّص. لقد كانت شريعة الرب بهجةً للمؤمن، فاتَّكل على أمانة الرب واحتمى به، فكان الرب حصناً له في زمان الضيق، سواء جاء الضيق من العدو، أو من المرض، أو من الخطية.

من هو الإنسان الذي يتمتع بكل البركات السماوية والحماية الإلهية؟ إنه الصدّيق البار، صاحب الموقف السليم من الله. هو الذي برَّره المسيح وستره بكفارته الكريمة. فدعونا نلجأ إلى الرب الفادي، نحتمي بفدائه الكريم الذي جهَّزه لنا على الصليب، فنقول: «إذ قد تبرَّرنا بالإيمان لنا سلامٌ مع الله بربنا يسوع المسيح» (رو 5: 1).

اَلْمَزْمُورُ الثَّامِنُ وَالثَّلاَثُونَ

مَزْمُورٌ لِدَاوُدَ لِلتَّذْكِيرِ

1يَا رَبُّ، لاَ تُوَبِّخْنِي بِسَخَطِكَ وَلاَ تُؤَدِّبْنِي بِغَيْظِكَ، 2لأَنَّ سِهَامَكَ قَدِ انْتَشَبَتْ فِيَّ، وَنَزَلَتْ عَلَيَّ يَدُكَ.
3لَيْسَتْ فِي جَسَدِي صِحَّةٌ مِنْ جِهَةِ غَضَبِكَ. لَيْسَتْ فِي عِظَامِي سَلاَمَةٌ مِنْ جِهَةِ خَطِيَّتِي، 4لأَنَّ آثَامِي قَدْ طَمَتْ
فَوْقَ رَأْسِي. كَحِمْلٍ ثَقِيلٍ أَثْقَلَ مِمَّا أَحْتَمِلُ. 5قَدْ أَنْتَنَتْ، قَاحَتْ حُبُرُ ضَرْبِي مِنْ جِهَةِ حَمَاقَتِي. 6لَوِيتُ. انْحَنَيْتُ إِلَى
الْغَايَةِ. الْيَوْمَ كُلَّهُ ذَهَبْتُ حَزِيناً، 7لأَنَّ خَاصِرَتَيَّ قَدِ امْتَلأَتَا احْتِرَاقاً، وَلَيْسَتْ فِي جَسَدِي صِحَّةٌ. 8خَدِرْتُ وَانْسَحَقْتُ
إِلَى الْغَايَةِ. كُنْتُ أَئِنُّ مِنْ زَفِيرِ قَلْبِي.

9يَا رَبُّ، أَمَامَكَ كُلُّ تَأَوُّهِي، وَتَنَهُّدِي لَيْسَ بِمَسْتُورٍ عَنْكَ. 10قَلْبِي خَافِقٌ. قُوَّتِي فَارَقَتْنِي، وَنُورُ عَيْنِي
أَيْضاً لَيْسَ مَعِي. 11أَحِبَّائِي وَأَصْحَابِي يَقِفُونَ تُجَاهَ ضَرْبَتِي، وَأَقَارِبِي وَقَفُوا بَعِيداً، 12وَطَالِبُو نَفْسِي نَصَبُوا
شَرَكاً، وَالْمُلْتَمِسُونَ لِيَ الشَّرَّ تَكَلَّمُوا بِالْمَفَاسِدِ، وَالْيَوْمَ كُلَّهُ يَلْهَجُونَ بِالْغِشِّ.

13وَأَمَّا أَنَا فَكَأَصَمَّ لاَ أَسْمَعُ، وَكَأَبْكَمَ لاَ يَفْتَحُ فَاهُ. 14وَأَكُونُ مِثْلَ إِنْسَانٍ لاَ يَسْمَعُ، وَلَيْسَ فِي فَمِهِ حُجَّةٌ.
15لأَنِّي لَكَ يَا رَبُّ صَبَرْتُ، أَنْتَ تَسْتَجِيبُ يَا رَبُّ إِلَهِي. 16لأَنِّي قُلْتُ: «لِئَلاَّ يَشْمَتُوا بِي». عِنْدَمَا زَلَّتْ قَدَمِي
تَعَظَّمُوا عَلَيَّ. 17لأَنِّي مُوشِكٌ أَنْ أَظْلَعَ، وَوَجَعِي مُقَابِلِي دَائِماً. 18لأَنَّنِي أُخْبِرُ بِإِثْمِي وَأَغْتَمُّ مِنْ خَطِيَّتِي. 19وَأَمَّا
أَعْدَائِي فَأَحْيَاءٌ. عَظُمُوا. وَالَّذِينَ يُبْغِضُونَنِي ظُلْماً كَثُرُوا، 20وَالْمُجَازُونَ عَنِ الْخَيْرِ بِشَرٍّ يُقَاوِمُونَنِي لأَجْلِ اتِّبَاعِي
الصَّلاَحَ. 21لاَ تَتْرُكْنِي يَا رَبُّ. يَا إِلَهِي لاَ تَبْعُدْ عَنِّي. 22أَسْرِعْ إِلَى مَعُونَتِي يَا رَبُّ يَا خَلاَصِي.

المصاعب تقود إلى التوبة

هذا واحد من مزامير التوبة السبعة، فنرجو من القارئ الرجوع إلى مقدمة شرحنا لمزمور 6. وعنوان مزمورنا «للتذكير» فقد تذكر داود خطيةً ارتكبها (غالباً مع بثشبع – 2صم 11، 12) فأوقع الله عقابه عليه، فاضطرب جسده كما اضطربت نفسه، وهجره أصحابه، وسخر منه أعداؤه. وفي وسط هذه الآلام تذكَّر خطيته، وعرف أنه يستحق ما حلَّ به، فقَبِل تعييرات المعيِّرين، وصرخ إلى الرب في أول المزمور وفي نهايته أن يرفع عنه العقاب (آيات 1، 21، 22) ولو أنه في باقي المزمور يقول إن العقاب أكثر مما تستحقُّه الخطايا التي ارتكبها. ولا شك أن الله يؤدِّب المؤمن الذي يخطئ. ولا يبدو التأديب أنه للفرح بل للحزن (عب 12: 10). لكنه يؤدِّبه لكي لا يدينه مع العالم (1كو 11: 32)، وليُشركه معه في قداسته.

ويصف أيوب بالتفصيل ما يذكره المرنم هنا باختصار، فيصف مرضه (أي 7: 5 و9: 17) ويقول إن الله عاقبه (أي 16: 12-14) وهجره أصحابه (16: 20 و19: 13-15). ويعزو أيوب آلامه لخطاياه، رغم أنه لا يعرف خطية معينة بسببها جاءت عليه كل بلاياه (أي 7: 21 و10: 6). كما نجد أوجه شبَه بين آلام المرنم وآلام عبد الرب المتألم الموصوفة في إشعياء 53، رغم اختلاف أسباب الألم.

في هذا المزمور نجد:

أولاً – مصاعب المرنم ذكَّرته أن الله غاضب عليه (آيات 1–10)

ثانياً – مصاعب المرنم جعلته يفحص علاقاته الإنسانية (آيات 11–14)

ثالثاً – مصاعب المرنم جعلته يعمِّق صلته بالرب (آيات 15–22)

أولاً - مصاعب المرنم ذكَّرته أن الله غاضب عليه
(آيات 1-10)

1 - شدَّة مصاعب المرنم: «يا رب لا توبخني ولا تؤدبني بغيظك. لأن سهامك قد انتشبت فيَّ ونزلت عليَّ يدك. ليست في جسدي صحَّة من جهة غضبك. ليست في عظامي سلامة من جهة خطيتي» (آيات 1–3). رأى المرنم العقوبة التي حلَّت به آتيةً من قاضٍ غاضب، لا من أب حنون، وكأنه يشارك إرميا في قوله: «أدِّبني يا رب، ولكن بالحق، لا بغضبك لئلا تفنيني» (إر 10: 24). إنه لا يرفض التوبيخ والتأديب، لكنه يريدهما بغير غضب، فقد رأى الله يضربه بسهم، ثم يضربه بيده. و«سهام الله» هي المرض والألم الذي لم يترك في جسده صحة، أما «يده» فهي الضربات المتوالية كما من عصا، والتي لم تترك للمرنم راحة داخلية لأنه خاطئ، ولا استمتاعاً برحمة الرب لأنه غاضب عليه. كان شعوره بالذنب كالحمى التي تحرق نفسه من الداخل، والعقاب الإلهي كالضربات المنهالة عليه من الخارج، كما قال إشعياء: «كل الرأس مريض وكل القلب سقيم. من أسفل القدم إلى الرأس ليس فيه صحَّة، بل جرح وأحباطٌ (آثار جروح متورِّمة)، وضربة طرية لم تُعصَر ولم تُعصَب ولم تُليَّن بالزيت» (إش 1: 5، 6). ويرى داود أن خطيته هي سبب غضب الله عليه.

2 - سبب مصاعب المرنم: «لأن آثامي قد طمت فوق رأسي. كحِمل ثقيل أثقل مما أحتمل. قد أنتنَت، قاحت حبُر (جروح لم تلتئم) ضربي من جهة حماقتي» (آيتا 4، 5). يرى داود آثامه كطوفانٍ غامر يعلو على رأسه، فلا نجاة منه، وكأنه يقول: «جرفتنا المياه.. عبر السيلُ على أنفسنا» (مز 124: 4). ورآها كحِملٍ يدوسه تحته، كما قال قايين: «ذنبي أعظم من أن يُحتَمل» (تك 4: 13). وقد ضربه الله بسبب خطيته، وجرحه فتلوَّثت الجروح وأنتنت وفاحت رائحتها. وعندما يستيقظ الضمير يرى شناعة الخطية ويحسّ بثقلها، وهذه الأحاسيس ظاهرة صحية لأنها تدفع صاحبها إلى الالتجاء للمسيح الفادي بالتوبة والعزم على الحياة مع الرب.

3 - نتيجة مصاعب المرنم: «لَويتُ، انحنيت إلى الغاية. اليوم كله ذهبت حزيناً، لأن خاصرتيَّ قد امتلأتا احتراقاً، وليست في جسدي صحة. خدِرتُ وانسحقت إلى الغاية. كنت أئن من زفير قلبي» (آيات 6–8). تلوَّى داود جسدياً ونفسياً كمن أصابه برد شديد جعله عاجزاً عن الحركة، وانسحق إلى الغاية، كما قال أيوب: «أمعائي تغلي ولا تكفّ.. حَرِش جلدي عليَّ (خشُن ومال إلى السواد)، وعظامي احترَّت من الحرارة فيَّ» (أي 30: 27، 30). زفر قلبه حزناً، وكانت نفسه تئن ألماً نتيجة الألم والمرض «لأنه مثل خبزي يأتي أنيني، ومثل المياه تنسكب زفرتي» (أي 3: 24). وعندما نصل إلى حالة الأنين حزناً على خطايانا يسمعنا الله الحنون ويقدم لنا التعزية التي تمحو كل أثرٍ للحزن، و«طوبى للحزانى لأنهم يتعزَّون» (مت 5: 4).

4 - بركات مصاعب المرنم: «يا رب، أمامك كل تأوُّهي، وتنهُّدي ليس بمستور عنك. قلبي خافق. قوَّتي فارقتني، ونور عيني أيضاً ليس معي» (آيتا 9، 10). دفعت المصاعب المرنم إلى الحضن الإلهي الدافئ، فإن الرب يعرف كل شيء عن شعبه، ويعلم ما نحتاج إليه من قبل أن نسأله

(مت 6: 8). يقول: «سمعت أنين بني إسرائيل» (خر 6: 5) ، فنقول له: «اجعل أنت دموعي في زقِّك» (مز 56: 8). سعيد هو الإنسان المتعَب الذي يلجأ إلى الله، حتى إن كان يدرك أن تعبه عقابٌ إلهي عليه، لأنه عندما يلجأ إلى مراحم الله يجد عنده الترحيب والحب والغفران.

ثانياً - مصاعب المرنم جعلته يفحص علاقاته الإنسانية

(آيات 11-14)

1 - هجره أصحابه: «أحبائي وأصحابي يقفون تُجاه ضربتي، وأقاربي وقفوا بعيداً» (آية 11). كلمة «ضربة» تعني البرَص (لا 13: 3) وقد عامله أحباؤه وأصحابه كأبرص! وقفوا بعيداً لأنهم عاجزون عن المساعدة، أو لأنهم خائفون من العدوى، أو لأنهم لا يريدون أن يُتعِبوا أنفسهم معه. ربما كانت هذه كلها معاً. وتطلَّع داود في تعبه إلى أحبائه من البشر، فلم يجد أحداً!

2 - زاد أعداؤه شراً: «وطالبو نفسي نصبوا شرَكاً، والملتمسون ليَ الشر تكلموا بالمفاسد، واليوم كله يلهجون بالغش» (آية 12) هاجموه ظلماً كما كانوا يفعلون دائماً. كثيراً ما يجيئنا الهجوم لأننا أخطأنا، لكن عندما يجيئنا الهجوم ونحن أمناء ننال البركة السماوية. «لكم ضمير صالح، لكي يكون الذين يشْتِمون سيرتكم الصالحة في المسيح يُخزَون في ما يفترون عليكم كفاعلي شر، لأن تألُّمكم، إن شاءت مشيئة الله، وأنتم صانعون خيراً أفضل منه وأنتم صانعون شراً» (1بط 3: 16، 17).

3 - عجز عن الدفاع عن نفسه: «وأما أنا فكأصم لا أسمع، وكأبكم لا يفتح فاه. وأكون مثل إنسان لا يسمع وليس في فمه حُجَّة» (آيتا 13، 14). شعر المرنم بخطيته، فآثر الصمت أمام أعدائه وكأنه لم يسمع شتائمهم، وقرر تسليم أمره لإلهه لأنه لا يملك ما يدافع به عن نفسه. وهذا ما فعله أيوب عندما عجز عن ردّ دعاوى أصدقائه تمنى أن يرفع شكواه إلى الله وقال: «من يعطيني أن أجده فآتي إلى كرسيِّه. أُحسِن الدَّعوى أمامه وأملأ فمي حُججاً» (أي 23: 3، 4).

ثالثاً - مصاعب المرنم جعلته يعمِّق صلته بالرب

(آيات 15-22)

1 - زادته مصاعبه صبراً للرب وانتظاراً له: «لأني لك يا رب صَبَرتُ. أنت تستجيب يا رب إلهي. لأني قلتُ: لئلا يشمتوا بي. عندما زلَّت قدمي تعظموا عليَّ، لأني موشك أن أظلع (أعرج) ووجعي مقابلي دائماً» (آيات 15-17). كان صبره عامراً بالأمل والانتظار «ولكنني أراقب الرب. أصبر لإله خلاصي. يسمعني إلهي» (مي 7: 7). لم يجد في نفسه قدرةً، ولم ينتظر الناس لئلا يشمتوا به ويقولوا إن الرب فارقه، فدفعته شماتة العدو على الصلاة. ثم أنه كان موشكاً أن يظلع لأنه صُدم صدمة قوية في رِجْله جعلت الألم ينغِّص عليه حياته، وكان كل يوم يجيئه بمشكلة جديدة. لكنه في وسط هذه كلها صبر للرب وانتظره، واثقاً في الاستجابة، واستودع نفسه بين يدي خالقه، وبصبره استطاع أن يقتني نفسه (لو 21: 19) عالماً أن الله سيختار الوقت المناسب لإنقاذه.

2 - دفعته مصاعبه ليعترف بآثامه: «لأنني أخبر بإثمي وأغتمُّ من خطيتي» (آية 18). يعترف المرنم أن خطيته هي سبب معاناته، و«إن اعترفنا بخطايانا فهو أمين وعادل، حتى يغفر لنا خطايانا ويطهِّرنا من كل إثم» (1يو 1: 9). الله أمين في حبه وفي وعوده بالغفران للتائبين، كما أنه عادل لأنه تقاضى أجرة خطيتنا في صليب المسيح. فإن ألقينا خطايانا على المسيح ننال الغفران، لأن الله لا يتقاضى أجرة الخطية مرتين. ولا توجد خطية لا تُغفر إن جئنا إلى الله بتوبة وانكسار. «قلتُ أعترف للرب بذنبي، وأنت رفعتَ آثام خطيتي» (مز 32: 5).

3 - دفعته مصاعبه ليتبع الصلاح: «وأما أعدائي فأحياءٌ. عظُمُوا. والذين يبغضونني ظلماً كثُروا. والمجازون عن الخير بشر يقاومونني لأجل اتِّباعي الصلاح» (آيتا 19، 20). المؤمن الحقيقي الذي يصبر للرب ويعترف ينال المغفرة، فيفعل الصلاح مهما كانت الصعوبة. «انتظِر الرب واصبِر له» (مز 37: 7). والذين يعترفون بالخطية لا يستمرون في خطيتهم، ولكنهم يديرون ظهورهم لها ويصنعون الصلاح، قائلين: «بدل محبتي يخاصمونني. أما أنا فصلاة» (مز 109: 4). فإن كنا ثابتين في الرب ثبوت الغصن في الكرمة، لا بد أن ننتج الصلاح كنتيجة طبيعية لثبوتنا فيه. كان أعداء داود أحياء، عيونهم مفتوحة عليه، بل زادوا وعظموا. ومع أنه فعل معهم الخير إلا أنهم جازوه بالشر «كما كان قايين من الشرير وذبح أخاه. ولماذا ذبحه؟ لأن أعماله كانت شريرة وأعمال أخيه بارة» (1يو 3: 12). أما فاعل الصلاح فيفعله من أجل الرب، ومن الرب ينال الجزاء (كو 3: 24).

4 - دفعته مصاعبه للصلاة: «لا تتركني يا رب. يا إلهي لا تبعُد عني. أسرِع إلى معونتي يا رب يا خلاصي» (آيتا 21، 22). الرب نفسه هو خلاص المرنم، فيختم مزموره بصلاة طلب المعونة من الرب، خلاصه. إن سلَّمتَه نفسك وجعلته سيد حياتك، تخلص من الخطية التي تتعبك، ومن البشر الذين يضايقونك. ولا يستطيع المؤمن أن يعيش حياة مستقلة عن الله، لأنه يحيا حياة الاعتماد المستمر عليه. من الرب يأخذ حكمته، ويستمد قوته، وينال قداسته، فيدعو الرب: «يا إلهي لا تبعُد عني». ولا يمكن أن الله يبتعد، ولا أن يتوقف عن الحب. لكن الخطية هي التي تفصل الإنسان عن الله وتجعله يظن أن الله ابتعد عنه. ولكن السؤال الهام هو: من منّا غيَّر مكانه؟! هل غيَّر الله موقعه من المؤمن؟ أو هل غيَّر المؤمن موقعه من الله!

دعونا نرجع إلى الله تائبين، فهو لا يتركنا ولا يبعُد عنا، بل يسرع إلى مغفرة خطايانا وإعادة الصلة بيننا وبينه، وإنقاذنا من كل ما يضايقنا. اقبل المسيح رباً لحياتك، تجد الغفران والاطمئنان.

اَلْمَزْمُورُ التَّاسِعُ وَالثَّلاَثُونَ

لإِمَامِ الْمُغَنِّينَ. لِيَدُوثُونَ. مَزْمُورٌ لِدَاوُدَ

1قُلْتُ أَتَحَفَّظُ لِسَبِيلِي مِنَ الْخَطَإِ بِلِسَانِي. أَحْفَظُ لِفَمِي كِمَامَةً فِيمَا الشِّرِّيرُ مُقَابِلِي. 2صَمَتُّ صَمْتاً، سَكَتُّ
عَنِ الْخَيْرِ، فَتَحَرَّكَ وَجَعِي. 3حَمِيَ قَلْبِي فِي جَوْفِي. عِنْدَ لَهَجِي اشْتَعَلَتِ النَّارُ. تَكَلَّمْتُ بِلِسَانِي. 4عَرِّفْنِي يَا رَبُّ
نِهَايَتِي وَمِقْدَارَ أَيَّامِي كَمْ هِيَ، فَأَعْلَمَ كَيْفَ أَنَا زَائِلٌ. 5هُوَذَا جَعَلْتَ أَيَّامِي أَشْبَاراً، وَعُمْرِي كَلاَ شَيْءَ قُدَّامَكَ. إِنَّمَا
نَفْخَةً كُلُّ إِنْسَانٍ قَدْ جُعِلَ. سِلاَهْ. 6إِنَّمَا كَخَيَالٍ يَتَمَشَّى الإِنْسَانُ. إِنَّمَا بَاطِلاً يَضِجُّونَ. يَذْخَرُ ذَخَائِرَ وَلاَ يَدْرِي مَنْ
يَضُمُّهَا.

7وَالآنَ مَاذَا انْتَظَرْتُ يَا رَبُّ؟ رَجَائِي فِيكَ هُوَ. 8مِنْ كُلِّ مَعَاصِيَّ نَجِّنِي. لاَ تَجْعَلْنِي عَاراً عِنْدَ الْجَاهِلِ.
9صَمَتُّ. لاَ أَفْتَحُ فَمِي لأَنَّكَ أَنْتَ فَعَلْتَ. 10ارْفَعْ عَنِّي ضَرْبَكَ. مِنْ مُهَاجَمَةِ يَدِكَ أَنَا قَدْ فَنِيتُ. 11بِتَأْدِيبَاتٍ إِنْ
أَدَّبْتَ الإِنْسَانَ مِنْ أَجْلِ إِثْمِهِ، أَفْنَيْتَ مِثْلَ الْعُثِّ مُشْتَهَاهُ. إِنَّمَا كُلُّ إِنْسَانٍ نَفْخَةٌ. سِلاَهْ. 12اِسْتَمِعْ صَلاَتِي يَا رَبُّ،
وَاصْغَ إِلَى صُرَاخِي. لاَ تَسْكُتْ عَنْ دُمُوعِي، لأَنِّي أَنَا غَرِيبٌ عِنْدَكَ، نَزِيلٌ مِثْلُ جَمِيعِ آبَائِي. 13اقْتَصِرْ عَنِّي
فَأَتَبَلَّجَ، قَبْلَ أَنْ أَذْهَبَ فَلاَ أُوجَدَ.

لأنك أنت فعلتَ!

هذا مزمور لداود، مكمِّلٌ للمزمور السابق، كما أنه مرتبط بمزمور 62. (قارن 38: 13، 14 مع 39: 2، 9 و38: 15 مع 39: 7 و 38: 16 مع 39: 8 و38: 1-3، 11 مع 39: 10، 11). والأغلب أن ملحِّنه هو إمام المغنين يدوثون، الذي يحمل اسماً آخر هو إيثان (1أي 15: 17-19). وهو من عائلة مراري من سبط لاوي، ومعنى اسمه «مسبِّح». ويبدو أن الترتيل كان في دم أفراد هذه العائلة، ومنها آساف وهَيْمان، وقد كلفهم داود بالإشراف على التسبيح في الهيكل (2أي 35: 15). ولا نعرف المناسبة التي كتب فيها داود هذا المزمور، لكن لا بد أنها كانت وقت شكوك ومشاكل مؤلمة عبَّر فيها داود عن مشاعر حزنه. ترى هل أصابه مرضٌ أشرف فيه على الموت؟.. وقد كان مؤمنو العهد القديم يعتقدون أن المرض علامة على غضب الله، وأن الموت يعطل اتصالهم بالله.. أو هل مات صديق له؟ أو هل وقع عليه اضطهاد شديد؟.. نحن لا نعلم. لكن المصيبة كانت قاسيةً عليه، ولم يقدر أن يرى فيها صلاحاً ولا حكمة، فلجأ إلى الصلاة يشكو أمره لله. وخاف أن يسمع الأشرار شكواه فيهزأون بعبادة الله، كما خاف أن يعيِّروه أن إلهه لا يسمعه، فقرَّر في ألمه الشديد أن يسكت.

في هذا المزمور نجد:

أولاً – سكوتٌ في الألم (آيات 1-3)

ثانياً – كلامٌ في الألم (آيات 4-6)

ثالثاً – أمل في الألم (آيات 7-9)

رابعاً – دعاءٌ في الألم (آيات 10-13)

أولاً - سكوتٌ في الألم

(آيات 1-3)

1 - سكوت الحكيم: «قلت أتحفَّظ لسبيلي من الخطأ بلساني. أحفظ لفمي كمامةً فيما الشرير مقابلي» (آية 1). قــرَّر داود أن يتحمَّل النكبات بسكوت حتى لا يخطئ، وضبَط لسانه لئلا يمسك الأشرار كلماته عليه ويعيِّروه بها ويجدّفوا علــى إلهه، كما قال آساف: «حقاً قد زكَّيتُ قلبي باطلاً، وغسلتُ (باطلاً) بالنقاوة يديَّ» (مز 73: 13). ولكن آســاف اســتدرك فقال: «لو قلتُ أحدِّث هكذا، لغدرتُ بجيل بنيك» (مز 73: 15) لأنه عرف أن جيلاً جديداً سيأتي، يقتبس كلمات ضعفه في وقت ألمه على أنها قوانين وشرائع، ويقولون: عبادة الله باطلة، كما اقتبسوا كلماته من قبل وهو يمجد الله.

لقد وضع داود لفمه كمامة ليسكت. وهناك سكوت المُجبَر، وسكوت الجاهل الذي لا يــدري مــاذا يقــول، وســكوت السياسي الذي يزن الأمور بميزان المصالح، وهناك سكوت الحكيم. وسكوت المرنم هنا هو سكوت العاقل الحكيم، لأنه لو تكلم قد يخطئ، وتختلط الأمور عليه وعلى سامعيه، ويَضل ويُضلِّل، ويُحسَب كلامه عليه، ولا يقدر أن يستردَّ ما خرج من فمه. وقد يسبِّب كلامه عثرة للآخرين. فمن الحكمة أن يسكت. تعوَّد الأشرار أن يسمعوا داود يرنم للرب، فإن تكلم ضــد إلهه يعطي الأشرار فرصة الكلام ضد الله. و«إن كان أحدٌ لا يعثر في الكلام فذاك رجل كامل» (يع 3: 2).

فلنحترس قبل أن نعلن شكوكنا وشكوانا، فنحن لا ندرك كل مقاصد الله من آلامنا. وعندما يمضي وقت الألم، ويجيء وقت التعلُّم، سندرك فضل الله وصلاحه ومحبته. عندها سنندم على كل كلمة باطلة نكون قد قلناها!

2 - سكوت المتألم: «صمتُّ صمتاً. سكتُّ عن الخير فتحرَّك وجعي، حمي قلبي في جوفي. عنــد لهجــي اشــتعلت النار. تكلَّمتُ بلساني» (آيتا 2، 3). عندما يُصاب الإنسان بتجربة ويتكلم عنها يفرِّج عن نفسه ويستريح، أما صمته فمــؤلم للغاية. ويأمرنا الرب: «لا تخرج كلمة ردية من أفواهكم، بل كل ما كان صالحاً للبنيان، حسب الحاجة، كي يعطي نعمــة للسامعين» (أف 4: 29). فيجب أن نصمت عن الرديء، ولكن أن نتكلم بالصالح. ولقد صمت داود فلم يقُل خيراً ولا شراً لأن عواطفه كانت مضطربة، فزاده سكوته ألماً حتى لم يعُد يحتمل، فحمي قلبه من شكواه المكبوتة. وأخيراً لــم يســتطع السكوت فتكلم. لم يكن عنده شيء يقوله في صالح الله، لكن الشكوى في داخله اشتعلت كالنار.

ثانياً - كلامٌ في الألم

(آيات 4-6)

لما لم يعُد الصمت محتملاً، كان لا بد لداود أن يتكلم، فنطق صلاةً طلب فيها من الله أن يريه زوال حياتــه، فيتــرك التذمُّر ويخضع لإرادة الرب، كما قال موسى: «إحصاء أيامنا هكذا علِّمنا، فنؤتى قلب حكمة» (مز 90: 12).

1 - طلب أن يعرف كم حياته زائلة: «عرِّفني يا رب نهايتي ومقدار أيامي كم هي، فأعلم كيف أنا زائل» (آيــة 4). كان المرنم متعَباً من حياته، ولم يتوقَّع أن يجد فيها خيراً، وشعر أنها زائلة وأن «الكل باطل وقبض الريح، ولا منفعة تحت الشمس» (جا 2: 11) فطلب أن يعرف عدد الأيام التي بقيت له في هذه الحياة الشقية، التي لن يجد راحته منها إلا بالموت، وكأن الموت هو المنقذ، كما قال أيوب «أن يرضى الله بأن يسحقني.. ليتك تواريني في الهاوية» (أي 6: 9 و14: 13).

2 - أعلن أن الحياة قصيرة: «هوذا جعلت أيامي أشباراً، وعمري كلا شيء قدامك. إنما نفخةٌ كل إنسان قد جُعل» (آية 5). كان الشبر أصغر وحدة قياس، والمرنم يرى حياته أشباراً، كما قال يعقوب: «أيام سني غربتي مئة وثلاثون سنة، قليلة وردِيَّة» (تك 47: 9). وقال أيوب: «مولود المرأة قليل الأيام وشبعان تعباً. يخرج كالزهر ثم ينحسم، ويبرح كالظل ولا يقف» (أي 14: 1، 2). «لأنه ما هي حياتكم؟ إنها بخار يظهر قليلاً ثم يضمحل» (يع 4: 14). إن حياتنا قصيرة بالنسبة لما نريد أن نحققه وننجزه فيها، وبالنسبة لما نريد أن نخدم به الله والأسرة والناس، وبالنسبة لتنمية مقدراتنا ومواهبنا. ولكن هناك جانباً آخر لحياة المؤمن هي أنها أبدية مع المسيح «لأنه هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية» (يو 3: 16).

3 - أعلن بُطل الحياة: «إنما كخيالٍ يتمشَّى الإنسان. إنما باطلاً يضجّون. يَذخر ذخائر ولا يدري من يضمّها» (آية 6). مع أن حياة الإنسان قصيرة ونهايتها مجهولة، وهو نفخة وخيال، إلا أنه يضجّ، وإن كان ضجيجه باطلاً. إنه كالغني الغبي الذي قيل له: «هذه الليلة تُطلب نفسك منك، فهذه التي أعددتها لمن تكون؟» (لو 12: 20). كان هناك مليونير فرنسي اسمه «فوسكو» وضع ثروته كلها في بدروم المنزل، وصنع له باباً ينغلق من ذاته. وكان بين آن وآخر ينزل ليزور ثروته الكبيرة في البدروم. وذات يوم نزل وانغلق الباب عليه، وعجز عن فتحه. ولم يعرف أهله أين هو، لأنه لم يخبر أحداً بمكان الكنز، فمات بين كنوزه. وبيع البيت. وبعد سنوات طويلة قرَّر المشتري الجديد أن يهدمه ليقيم بيتاً جديداً. وعندما بدأ حفر الأساسات وجد عظام فوسكو، وكان الشمعدان بجواره وقد قضم جزءاً من الشمعة لعله يُشبع جوعه. كانت كل كنوزه باقية في مكانها، فصارت من نصيب المشتري الجديد! «يذخر ذخائر ولا يدري من يضمها»! ولو أن للثروة بُعداً آخر، هو أن نصنع بها منازل أبدية لأنفسنا، عندما نعطي منها العشور، فيمتدّ عمل الله ويجد الفقراء ما يحتاجونه (لو 16: 9).

ثالثاً - أملٌ في الألم

(آيات 7-9)

أدرك المرنم أن حياة الإنسان نفخة وخيال، وأن ثروته باطلة ولا يدري من يضمُّها بعده، فأخذ الاتجاه السليم من الرب، حيث الأمل والدوام.

1 - حدَّث الربَّ حديث الراجي: «والآن ماذا انتظرتُ يا رب؟ رجائي فيك هو» (آية 7). لقد وصل إلى نهاية مطاف التفكير الأرضي، ورأى الطريق مسدوداً، فتساءل: «والآن؟! ماذا انتظرتُ يا رب؟». هذه صرخة يأسٍ، لا بد أن تنتهي بإشراق نور الله على المؤمن، فيهتف «رجائي فيك هو!». يضمُّنا الرب عندما يتركنا الأب والأم (مز 27: 10) ويقول: «لا أهملك ولا أتركك» (عب 13: 5). وعلى هذا ألقى المرنم نفسه في أحضان الله مستسلماً بين يديه المحبَّتين. صحيح أنه شكا من الله، لكنه شكا لله، مصدر آماله، طالباً منه أن يرفع آلامه عنه! هذا ما عمله بطرس لما أنكر سيده، ولم ييأس من رحمة الله، بل بكى بكاءً مراً، فربح حياته الأبدية، وأعاد المسيح له مكانته الخاصة وأعطاه مسئولية رعاية غنمه (يو 21: 15-17). وهذا بعكس ما فعله يهوذا الإسخريوطي الذي خان سيده، وفقد رجاءه في رحمة الرب، فمضى وشنق نفسه (مت 27: 5).

نحتاج في وقت حزننا وألمنا أن نمتلئ بالرجاء الواثق في الرب. يشتكي مؤمنون كثيرون من الله، ولكن لو فكروا في البركات الكثيرة التي يمنحها لهم لتأكدوا أنه صالح ومحب. فإذا حدث مرة أن سمح بآلام، فإن سِجِلّ معاملاته معنا العامر

بالحب، يجعلنا نلجأ إليه في صلاة الواثقين الذين يرجون، لأن «كل الأشياء تعمل معاً للخير للــذين يحبــون الله» (رو 8: 28).

2 - حدَّث الربَّ حديث المعترف: «مــن كــل معاصــيَّ نجِّنــي. لا تجعلني عاراً عند الجاهل» (آية 8). طلــب المرنم النجاة من آلامه ومصائبه، ثم طلب طلباً أعمق وهو أن ينجو من معاصيه التي كان يعتقد أنها سبب تلك الآلام، حتى لا يسخر منه الخطاة الجاهلون، فاعترف بخطيته قائلاً: «من كل معاصيَّ نجني» لأنه يرجو الغفران والقبول والستر أمــام الله والناس، ليكون بلا عيب وبلا لوم. ولما يغفر الله لداود معاصيه يتوقَّف عن معاقبته، فتتوقَّف آلامه، وتتوقَّف تعييــرات معيِّريه. وهذا ما عبَّر عنه الرسول بقوله: «يا ابني لا تحتقر تأديب الرب ولا تَخُر إذا وبَّخك، لأن الذي يحبه الرب يؤدِّبه، ويجلد كل ابن يقبله. إن كنتم تحتملون التأديب يعاملكم الله كالبنين. فأي ابن لا يؤدِّبه أبوه! ولكن إن كنتم بلا تأديــب، قــد صار الجميع شركاء فيه، فأنتم نُغُول (غير أُصلاء) لا بنون. ثم قد كان لنا آباءُ أجسادنا مؤدِّبين، وكنّا نهابهم. أفلا نخضــع بالأَوْلى جداً لأبي الأرواح، فنحيا! لأن أولئك أدَّبونا أياماً قليلة حسب استحسانهم. وأما هذا فلأجل المنفعة لكي نشترك فــي قداسته» (عب 12: 5-11).

3 - حدَّث الربَّ حديث التسليم: «صمتُّ. لا أفتح فمي لأنك أنت فعلت» (آية 9). صمَتَ المرنم صمْتَ التســليم لله ولمشيئته الصالحة المرْضيَّة الكاملة، فكل ما حدث له ومعه هو بترتيب إلهي سابق، أو بسماح إلهي. ترك المرنم الصــمت عن الخير الذي حرَّك آلامه (آية 2)، وهو صمت الثائر المتذمِّر، وبدأ صمت الاستسلام بين يدي الآب المحــب الحكــيم، صاحب الأمر في حياته وفي كل الكون، الذي يُخرج أولاده من مآزقهم، ويرشدهم ويقودهم ويعلِّمهم «سُبل البــر». دائمــاً يفعل، وفعله رائع. يعرف ما لا نعرفه، ويرى ما لا نراه. فله التسليم «لأنك أنت فعلت». وفي هذه الآية نرى الإله الصالح صاحب العمل الصالح، ونرى المؤمن الصالح الذي يردد مع المسيح: «إن لم يمكن أن تعبــر عنــي هــذه الكــأس إلا أن أشربها، فلتكن مشيئتك» (مت 26: 42).

رابعاً - دعاءٌ في الألم

(آيات 10-13)

وختم المرنم مزموره بصلاة المتألم الذي يستغيث بالرب: «ارفَعْ عني ضربك. من مهاجمة يدك أنا قد فنيت. بتأديبات إن أدَّبت الإنسان من أجل إثمه أفنيت مثل العُثِّ مُشتهاه. إنما كل إنسان نفخة. استمِع صلاتي يا رب واصغَ إلى صراخي. لا تسكت عن دموعي لأني أنا غريبٌ عندك، نزيلٌ مثل جميع آبائي. اقتصِر عني فأتبلَّج (يبدو وجهي ضــاحكاً) قبــل أن أذهب فلا أُوجد» (آيات 10-13).

في هذه الآيات يطلب المرنم الفرج والراحة. هذه طِلبة مستغيثٍ برحمة الرب من الضرب الهجومي الذي يكاد يُفنيــه، لأنه إن كان الرب يؤدِّب المرنم الذي أخطأ بما يستحقه، سيصبح مثل الثوب الذي أتلفه العُث، فيضيع جماله وفائدته. ويُشبِّه النبي يد الرب المؤدِّبة بالعُث والسوس، كما قال: «أنا لأفرايم كالعث، ولبيت يهوذا كالسوس» (هو 5: 12). ولكن المــرنم يدرك أن الرب لا بد يسمع صلاته ويصغي إلى صراخه. فإن كانت قلوبنا نحن البشر تتحرك عندما نرى دموع المتألمين، فكم يتحرك قلب الله بالمراحم على الذين يبكون أمامه؟ عندما رأى المسيح أرملة نايين تبكي وحيدها الذي مات، قال لهــا: «لا تبكي» وأعاد ابنها إلى الحياة (لو 7: 13). ولما رأى المجدلية تبكي سيِّدها الذي ظنَّته مات، قال لها: «لماذا تبكين؟ من

تطلبين؟» وأعاد لنفسها الرجاء (يو 20: 15). لا يمكن أن يسكت الله عن دموعنا. لقد حفظ دموع داود في زِق (مــز 56: 8) ولا بد يحسُّ بنا، ويسمع أنيننا، ويرى دموعنا، وينقذنا. ويقول داود إنه غريب ونزيل، مع أنه لم يكن مواطنــاً عاديــاً يعوزه المسكن أو المال، فقد كان ملكاً يملك كل مقوِّمات الحياة المرفَّهة. لكنه كمؤمن تقي يدرك أنه نزيل لأن الله يقــول: «الأرض لا تُباع بتة، لأن لي الأرض، وأنتم غربــاء ونزلاء عنــدي» (لا 25: 23) وليــس المؤمنــون مالكيــن، بــل مجــرد وكلاء. وفي صلاة داود يطلب من الرب أن يتوقَّف عن ضربه، ليستطيع أن يلتقط أنفاسه قبل أن يذهب فلا يوجد فيقول: «اقتصِر عني فأتبلَّج» بمعنى أن تنفرج أساريري ويبدو وجهي مشرقاً ضاحكاً.

رأينا في الآيات الست الأولى من المزمور المتألم الصامت الذي لم يستطع أن يسكت فتكلَّم. ورأينا كيف تكلم فلم يكن كلامه حكيماً. لكن عندما لجأ إلى الله مصلياً، صلى الروح القدس فيه، فجاءت صلاته صلاة الواثق الذي يرجــو، فقــال: «رجائي فيك هو» (آية 7)، وصلاة التائب الذي يعترف، فقال: «من كل معاصيَّ نجِّني» (آية 8). وصلاة الخاضع الــذي يسلِّم للرب، فقال: «صمتُّ لأنك أنت فعلت» (آية 9). وصلاة المستغيث، فقال: «ارفع عني ضربك» (آية 10). ولا بد أن الله يُنقذه، كما لا بد أن يُنقذك إن جئتَه كما جاءه المرنم.

اَلْمَزْمُورُ الأَرْبَعُونَ

لإِمَامِ الْمُغَنِّينَ. مَزْمُورٌ لِدَاوُدَ

1 انْتِظَاراً انْتَظَرْتُ الرَّبَّ، فَمَالَ إِلَيَّ وَسَمِعَ صُرَاخِي، 2وَأَصْعَدَنِي مِنْ جُبِّ الْهَلاَكِ، مِنْ طِينِ الْحَمْأَةِ،
وَأَقَامَ عَلَى صَخْرَةٍ رِجْلَيَّ. ثَبَّتَ خُطُوَاتِي، 3وَجَعَلَ فِي فَمِي تَرْنِيمَةً جَدِيدَةً، تَسْبِيحَةً لإِلَهِنَا. كَثِيرُونَ يَرَوْنَ
وَيَخَافُونَ، وَيَتَوَكَّلُونَ عَلَى الرَّبِّ.

4طُوبَى لِلرَّجُلِ الَّذِي جَعَلَ الرَّبَّ مُتَّكَلَهُ، وَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَى الْغَطَارِيسِ وَالْمُنْحَرِفِينَ إِلَى الْكَذِبِ. 5كَثِيراً مَا
جَعَلْتَ أَنْتَ أَيُّهَا الرَّبُّ إِلَهِي عَجَائِبَكَ وَأَفْكَارَكَ مِنْ جِهَتِنَا. لاَ تُقَوَّمُ لَدَيْكَ. لأُخْبِرَنَّ وَأَتَكَلَّمَنَّ بِهَا. زَادَتْ عَنْ أَنْ تُعَدَّ.
6بِذَبِيحَةٍ وَتَقْدِمَةٍ لَمْ تُسَرَّ. أُذُنَيَّ فَتَحْتَ. مُحْرَقَةً وَذَبِيحَةَ خَطِيَّةٍ لَمْ تَطْلُبْ. 7حِينَئِذٍ قُلْتُ: «هَئَنَذَا جِئْتُ. بِدَرْجِ الْكِتَابِ
مَكْتُوبٌ عَنِّي، 8أَنْ أَفْعَلَ مَشِيئَتَكَ يَا إِلَهِي سُرِرْتُ، وَشَرِيعَتُكَ فِي وَسَطِ أَحْشَائِي». 9بَشَّرْتُ بِبِرٍّ فِي جَمَاعَةٍ
عَظِيمَةٍ. هُوَذَا شَفَتَايَ لَمْ أَمْنَعْهُمَا. أَنْتَ يَا رَبُّ عَلِمْتَ. 10لَمْ أَكْتُمْ عَدْلَكَ فِي وَسَطِ قَلْبِي. تَكَلَّمْتُ بِأَمَانَتِكَ
وَخَلاَصِكَ. لَمْ أُخْفِ رَحْمَتَكَ وَحَقَّكَ عَنِ الْجَمَاعَةِ الْعَظِيمَةِ.

11أَمَّا أَنْتَ يَا رَبُّ فَلاَ تَمْنَعْ رَأْفَتَكَ عَنِّي. تَنْصُرُنِي رَحْمَتُكَ وَحَقُّكَ دَائِماً. 12لأَنَّ شُرُوراً لاَ تُحْصَى قَدِ
اكْتَنَفَتْنِي. حَاقَتْ بِي آثَامِي، وَلاَ أَسْتَطِيعُ أَنْ أُبْصِرَ. كَثُرَتْ أَكْثَرَ مِنْ شَعْرِ رَأْسِي، وَقَلْبِي قَدْ تَرَكَنِي. 13اِرْتَضِ يَا
رَبُّ بِأَنْ تُنَجِّيَنِي. يَا رَبُّ، إِلَى مَعُونَتِي أَسْرِعْ. 14لِيَخْزَ وَلْيَخْجَلْ مَعاً الَّذِينَ يَطْلُبُونَ نَفْسِي لإِهْلاَكِهَا. لِيَرْتَدَّ إِلَى
الْوَرَاءِ وَلْيَخْزَ الْمَسْرُورُونَ بِأَذِيَّتِي. 15لِيَسْتَوْحِشْ مِنْ أَجْلِ خِزْيِهِمِ الْقَائِلُونَ لِي: «هَهْ هَهْ!». 16لِيَبْتَهِجْ وَيَفْرَحْ بِكَ
جَمِيعُ طَالِبِيكَ. لِيَقُلْ أَبَداً مُحِبُّو خَلاَصِكَ: «يَتَعَظَّمُ الرَّبُّ». 17أَمَّا أَنَا فَمِسْكِينٌ وَبَائِسٌ. الرَّبُّ يَهْتَمُّ بِي. عَوْنِي
وَمُنْقِذِي أَنْتَ. يَا إِلَهِي لاَ تُبْطِئْ.

أن أفعل مشيئتك سُررتُ

كُتب هذا المزمور في مناسبة نجاة عظيمة كان المرنم ينتظرها، فانطلق لسانه بتسبيح الشكر من أعماق كيانه، وجعل يعلن هذا التسبيح أمام المؤمنين ليشاركوه شكره. ولا نعرف المناسبة التي كتب فيها داود هذا المزمور، ولعلها مناسبة نجاته من الانقلاب الفاشل الذي قام به ضده ابنه أبشالوم (2صم 15). وكان بنو إسرائيل يرنمون هذا المزمور في عبادتهم الجمهورية أيام السبت بقيادة إمام المغنين، أي القائد الأكبر لجوقة ترنيم الهيكل، ليعبِّر الجميع عن شكرهم لله على نجاةٍ اختبروها، وليسبّحوه على كريم عمله معهم، وليعلنوا انتظارهم للنجاة من كل صعوبة قادمة عليهم، فإن الله الذي نجَّى سينجي. وفي الآيات 6-8 من هذا المزمور نبوَّة بمجيء المسيح، اقتبسها كاتب رسالة العبرانيين، حيث يقول: «لذلك عند دخوله إلى العالم يقول: ذبيحةً وقرباناً لم تُرِد، ولكن هيَّأت لي جسداً. بمحرقاتٍ وذبائح للخطية لم تُسرّ. ثم قلتُ هئنذا أجيء. في درج الكتاب مكتوب عني، لأفعل مشيئتك يا الله» (عب 10: 5-7).

في هذا المزمور نجد:

أولاً - ما عمله الرب مع المرنم (آيات 1-5)

ثانياً – ما عمله المرنم للرب (آيات 6–10)

ثالثاً – صلاة لطلب الإنقاذ (آيات 11–17)

أولاً ـ ما عمله الرب مع المرنم
(آيات 1-5)

عمل الرب مع المرنم عملين عظيمين:

1 ـ كافأ الرب انتظار المرنم بأن مال إليه وسمع صلاته: (آيات 1–3).

(أ) سمع صلاته: «انتظاراً انتظرتُ الرب فمال إليَّ وسمع صراخي» (آية 1). عندما يصرخ الطفل تُهرَع إليه وتنحني عليه وترفعه وتمسح دموعه، ولا تتركه إلا بعد أن يهدأ ويبتسم؟ هذا هو الحب الكامل، وهو اختبار المرنم مع الله الذي يحبه ويستجيب صلاته، فوقف ونظر خلاص الرب (خر 14: 13). لقد كان انتظار المرنم للرب انتظار الأمل والتوقُّع، فحقق الرب انتظاره، واختبر الوعد: «كإنسان تعزّيه أمه هكذا أعزيكم أنا» (إش 66: 13). ونرى في حياة داود نموذجاً رائعاً لهذا الانتظار، عبَّر عنه في مزمور 27: 14 و37: 7 و62: 1، 5 و69: 3. ويقال في ذلك اليوم: «هوذا هذا إلهنا. انتظرناه فخلَّصنا. هذا هو الرب انتظرناه. نبتهج ونفرح بخلاصه» (إش 25: 9).

(ب) أنقذه: «وأصعدني من جب الهلاك، من طين الحمأة» (آية 2أ). الجب بئرٌ أو حفرة عميقة، وطين الحمأة هو الطين الأسود المختلط بالقذارة. وكانوا يلقون الأسرى في الجباب المليئة بطين الحمأة للتعذيب البطيء حتى الموت، كما أُلقي إرميا النبي، فقيل عنه: «إنه يموت في مكانه بسبب الجوع». ولما أرادوا إنقاذه أرسلوا إليه ثلاثين رجلاً ليطلعوه، فأخذوا ثياباً رثَّة وحبالاً، وطلبوا منه أن يضعها تحت إبطيه، فجذبوه بالحبال وأطلعوه من الجب (إر 38: 9–12). والذي يسقط في جبٍ وطين حمأةٍ يكون في ظلام لأن نور الشمس لا يصل إليه، ويكون يائساً لا أمل له في النجاة، ويكون عاجزاً عن أن ينجي نفسه، فليس للجب حوائط يتسلق عليها ليخرج منه!

(ج) ثبَّته: «وأقام على صخرة رجليَّ. ثبَّت خطواتي، وجعل في فمي ترنيمة جديدة تسبيحة لإلهنا. كثيرون يرون ويخافون ويتوكلون على الرب» (آية 2ب، 3). كان المرنم في جب وطين ينزلق عليه ويسقط فيه ويتخبَّط، فأنقذه الله وأوقفه على صخرة، فثبتت خطواته، وتحقَّق معه القول: «تمسَّكت خطواتي بآثارك، فما زلَّت قدماي» (مز 17: 5) «تُوسع خطواتي تحتي، فلم تتقلقل عقباي» (مز 18: 36) فانطلق فمه يسبح الرب بترنيمة جديدة لمناسبة جديدة من العناية السماوية، بعد أن رنَّم للرب شاكراً على العناية الماضية.

لقد رنَّم تراتيل شكر لما نجَّاه الله في الماضي، ورنم ترتيلة شكر جديدة على النجاة في الحاضر، ولا بد سيرنم ترنيمة جديدة في المستقبل كلما اختبر إنقاذاً جديداً، فإن مراحم الله لا تزول، وهي جديدة في كل صباح. كثيرة أمانته (مرا 3: 23). وكان الترنيم ذا أثر كبير على سامعيه، فأخذ كثيرون يتوكلون على الرب صانع الخلاص، فمعجزات الرب ليست أوهاماً، لكنها اختبارٌ يومي متكرر. وحتى إن سمح الرب للملك الشرير هيرودس أن يقتل يعقوب أخا يوحنا بالسيف فقد بلغ يعقوب مجده الأبدي بطريق أسرع (أع 12: 2). وإن فتح أبواب السجن ليخرج بطرس إلى الشارع، فقد منحه وقتاً أطول ليخدم (أع 12: 7). وبعد الموت المبكر مضى يعقوب إلى راحته الأبدية يخدم إلهه نهاراً وليلاً، ويرنم ترنيمةً جديدة. وبعد

النجاة المعجزية مضى بطرس يعظ ويكتب ويدعو للتوبة، وقلبه عامر بترنيمة جديدة وهو يرى آلاف الراجعين لله يؤمنون بالمسيح.

من هذه الآيات، ومن غيرها نرى ثلاثة امتيازات عظيمة تتميَّز بها المسيحية.

الامتياز الأول: إن الله محبة «يُميل أذنه إلينا» فهو لا يتعالى علينا أبداً بل يتنازل إلينا. وفي ملء الزمان أرسل ابنه الوحيد مولوداً من امرأة في مذود. وتنازل المسيح فأخلى نفسه آخذاً صورة عبد (في 2: 7). صار ما لم يكُنْهُ ليجعل منّا ما لم نكُنه. تنازل ليرفعنا، وافتقر ليُغنينا، ومات ليُحيينا، وهو يعتني بنا، فلنطمئن أننا لسنا ضائعين في كون الله الفسيح، لكنه يعرفنا بأسمائنا.

الامتياز الثاني: أننا نستطيع أن ننشئ علاقة شخصية مع الله، نصبح فيها أبناءه، فندعوه بدالة البنين: «يا أبانا الذي في السموات» (مت 6: 9). هو الذي ينعم علينا بالتبنّي في المسيح، ويقول لنا: «لا أعود أسمّيكم عبيداً.. لكني قد سمَّيتُكم أحباء» (يو 15: 15) ويرجع سبب ذلك إلى «أن الله كان في المسيح مصالحاً العالم لنفسه، غير حاسبٍ لهم خطاياهم» (2كو 5: 19).

أما الامتياز الثالث: فهو الضمان والتأكيد المبنيَّين على النعمة وحدها. فنحن لا نخلُص بأعمالنا الصالحة، بل بإنعامه ومحبته فقط. لقد مدَّ لنا يد محبته بالإنقاذ، لأنه هو محبة. وهذا يضمن لنا استمرار غفرانه وخلاصه «لأنه هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد، لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية» (يو 3: 16) لذلك قال الرسول بولس: «لأني عالمٌ بمن آمنت، وموقنٌ أنه قادر أن يحفظ وديعتي إلى ذلك اليوم» (2تي 1: 12).

2 - كافأ الرب اتكال المرنم بأن أجرى معه عجائب بلا عدد: (آيتا 4، 5).

(أ) حفظه من طريق الخطاة: «طوبى للرجل الذي جعل الرب متَّكله، ولم يلتفت إلى الغطاريس والمنحرفين إلى الكذب» (آية 4). الغطاريس هم المتكبرون المُعجبِون بأنفسهم، وقد حفظ الله المرنم منهم، كما حفظه من الكذابين، فلم يصدق وعودهم المعسولة بغير وفاء، ورفض أن يكون واحداً منهم. ويسمِّي المرنم المتكل على الرب بأنه «الرجل» أي القوي الذي يقدر أن يقاوم تيارات الشر ويسبح في طريق الخير بالرغم من قوة تياراته المضادة. لقد رفض الكبرياء وخضع لله، ونبذ أفكار المنحرفين إلى الكذب الذين يهجرون الحق ويعتمدون على الأمور الزائفة، وينحرفون نحو أهدافٍ مضللة.

(ب) أجرى معه معجزات بلا عدد: «كثيراً مما جعلتَ أنت أيها الرب إلهي عجائبك وأفكارك من جهتنا. لا تُقوَّم لديك» (آية 5أ، ب). أنقذ الرب المرنم بمعجزة ألهمته أن يكتب هذا المزمور، لكنها لم تكن الأولى ولا الوحيدة، فقد اعتنى به منذ صباه، وأجرى معه معجزات لا يذكر إلا بعضها لكثرتها. كان المرنم موضوع تفكير الرب، فلم يعُد قادراً أن يحصي كل أفضال الله عليه! ولقد طلب الرسول بولس استنارة عيون أذهان المؤمنين ليعرفوا ما هي عظمة قدرته الفائقة نحوهم (أف 1: 19).

(ج) جعله شاهداً أميناً لتلك المعجزات الإلهية: «لأُخبرنَّ وأتكلمن بها. زادت عن أن تُعَدّ» (آية 5ج). يقول المرنم بصيغة التوكيد إن أخبار المعجزات كانت أكبر من أن يحتفظ بها لنفسه، فأذاعها على كل من التقى به. وهذا ما يحدث مع كل من يغيِّر المسيح حياته، فيمضي يشهد بكم صنع الرب به (مر 5: 19) ويطيع توجيه المسيح: «تكونون لي شهوداً» (أع 1: 8).

ثانياً ـ ما عمله المرنم للرب

(آيات 6-10)

انتظر المؤمن إلهه فكافأه بتحقيق انتظاره، واعتمد على الله فكافأه بأن أبهج قلبه. ولما شعر بالفضل قرَّر أن يحيا لله حياة الطاعة والتكريس، وحياة التسبيح والشهادة.

1 - عزم أن يحيا حياة الطاعة والتكريس: «بذبيحةٍ وتقدمة لم تُسرّ. أذنيَّ فتحتَ. محرقةً وذبيحةَ خطيةٍ لم تطلب. حينئذ قلتُ: هئنذا جئتُ. بدَرْج الكتاب مكتوب عني: أن أفعلَ مشيئتك يا إلهي سُرِرتُ، وشريعتك في وسط أحشائي» (آيات 6-8). تقول هذه الآيات الثلاث إن الطاعة الحقيقية لله ليست بتقديم فروض العبادة وواجباتها فقط، بل بتسليم النفس لله. وتجيب على سؤال ضمني: كيف أعبِّر عن شكري لصاحب الفضل؟ فتقول إن فروض العبادة في ذاتها هي بلا قيمة ما لم ترتبط بطاعة الذي يقدِّمها. قال النبي صموئيل لشاول: «هل مسرَّة الرب بالمحرقات والذبائح كما باستماع صوت الرب؟ هوذا الاستماع أفضل من الذبيحة، والإصغاء أفضل من شحم الكباش» (1صم 15: 22). وقال الله: «إني أريد رحمة لا ذبيحة، ومعرفة الله أكثر من محرقات» (هو 6: 6). وتساءل النبي ميخا: «بمَ أتقدَّم إلى الرب وأنحني للإله العلي؟ هل أتقدم بمحرقات؟.. قد أخبَرك أيها الإنسان ما هو صالح..: أن صنع الحق، وتحب الرحمة، وتسلك متواضعاً مع إلهك» (مي 6: 6-8). «أطلب إليكم أيها الإخوة برأفة الله أن تقدِّموا أجسادكم ذبيحةً حية مقدسة مرضيَّة عند الله» (رو 12: 1).

ويذكر المرنم أنواع الذبائح التي فرضتها شريعة موسى، والتي لا يعني تقديمها أن مقدِّمها يطيع الله طاعة قلبية، فيذكر «الذبيحة» الحيوانية، و«التقدمة» من نبات الأرض و«المحرقة» التي تدلُّ على تكريس من يقدمها، وكأنه يضع نفسه على مذبح الله، و«ذبيحة الخطية» التي يقدمونها لعمل المصالحة مع الله واستعادة العلاقة السليمة به. وهي قرابين لا تسُرُّ الله إلا إذا اقترنت بالطاعة القلبية في من يقدِّمها. وللتعبير عن الطاعة يقول المرنم: «أذنيَّ فتحت». وقد يكون المعنى أن الله أزال صمم المرنم ليسمع صوت الرب بوضوح. وقد يشير المعنى إلى ما كان يفعله العبد الذي يحب سيدَهُ ولا يريد أن يترك خدمتَهُ، فيثقب السيدُ أذن العبد فيخدمه إلى الأبد (خر 21: 6 وتث 15: 17).

وما أن أدرك المرنم مطالب الله والمعنى الحقيقي للطاعة حتى أجاب دعوة الداعي الذي دعاه وقال: «هئنذا جئتُ» كما قال إشعياء لله: «هئنذا أرسلني» (إش 6: 9).

ويحمل المرنم معه «درج الكتاب» وهو قطعة من جلد كُتبت عليها شريعة الله التي تُحدِّث قارئها بمسؤولياته وواجباته من نحو الله، ومن نحو نفسه، ومن نحو الآخرين. وهو مسرور بأمرين: أن يعمل مشيئة الله الصالحة المرضيَّة الكاملة، وأن يحفظ شريعة الله في أعماق نفسه كما طلب الرب من شعبه (تث 6: 6) وكما يفعل كل الأبرار (إش 51: 7). فلم تعُد الشريعة مكتوبةً على ألواحٍ حجرية، بل على قلوب الذين يحبون الله.

وقد اقتبس كاتب رسالة العبرانيين الآيات 6-8 من مزمورنا (عب 10: 5-7) باعتبارها كلمات المسيح، كلمة الله المتجسد. وهو اقتباس يعتمد على الترجمة السبعينية، التي قدَّمت تعبير «أذنيَّ فتحت» بعبارة «هيَّأت لي جسداً». فالجسد هو الآلة التنفيذية لما تسمعه الأذن من أوامر. ونجد في درج الكتاب (التوراة) نبوات كثيرة وتفصيلية عن ميلاده العذراوي، وحياته المعجزية، وموته مصلوباً، وقيامته من الموت، وارتفاعه للسماء، ومجيئه ثانيةً إلى أرضنا ديَّاناً للأحياء والأموات. والمسيح هو النموذج الأعلى في الطاعة، وقد اتَّخذ جسداً ليحقق هذه النبوات. وعندما اقترب من الصليب قال للآب

السماوي: «يا أبتاه، إن شئت أن تُجيز عني هذه الكأس، ولكن لتكن لا إرادتي بل إرادتك» (لو 22: 42) «يا أبتاه، إن لم يمكن أن تعبر عني هذه الكأس إلا أن أشربها، فلتكن مشيئتك» (مت 26: 42). ونعلم أن المسيح هو الله الذي ظهر في الجسد، وأن له طبيعة الإنسان وطبيعة الله. وفي كمال إنسانيته يقول: تحقَّقَتْ هذه الكلمات فيَّ، فأطعتُ حتى الموت موت الصليب.

جدير إذاً بكل واحد من محبي الله أن يقول: أذنيَّ فتحت. أنا أطيعك يا رب. ماذا تريد أن أفعل؟ ما هو العوَج فيَّ لتصلحه؟ ما هو الناقص لتكمله؟ هئنذا جئتُ.

2 - عزم أن يحيا حياة التسبيح والشهادة: «بشَّرتُ ببرٍّ في جماعةٍ عظيمة. هوذا شفتاي لم أمنعهما. أنت يا رب علمتَ. لم أكتُم عدلك في وسط قلبي. تكلمتُ بأمانتك وبخلاصك. لم أُخْفِ رحمتك وحقك عن الجماعة العظيمة» (آيتا 9، 10).. في الآيات 6-8 أعلن المرنم أنه قدم نفسه ذبيحة حية لله، وفي الآيتين 9، 10 يعلن أنه يقدم لله ذبيحة تسبيح وشكر. لم يكن ممكناً أن يُصعِد الربُّ المرنمَ من جب الهلاك ويثبِّت خطواته ويضع في فمه ترنيمة جديدة، ثم يحتفظ المرنم بهذه الأسرار لنفسه. ولا يمكن أن ينال المؤمن غفران خطاياه دون أن يدعو الجميع ليحتفلوا معه، وليشرح لهم كيف يتمتعون بمثل ما تمتَّع هو به. فلا يجب أن نحتفظ بالنعمة لأنفسنا، بل لنشارك غيرنا فيها، فإن الأنانيين وحدهم هم الذين يحتفظون بالأخبار السارة لأنفسهم ويكتمونها عن غيرهم. والمرنم يقدِّم لنا النموذج في قوله: «بشَّرتُ.. لم أكتم.. تكلمتُ.. لم أُخْفِ». ويعلن المواضيع التي بشَّر بها:

(أ) بشَّر ببر الله وعدله: الله بار، يجازي كل واحد حسب عمله. يعاقب الشرير ويكافئ المؤمن، ويعطي كل ذي حق حقَّه. وهو أمين لمواعيده ولقوانينه، فهو المحب القدوس القوي الحكيم.

(ب) بشَّر بخلاص الله ورحمته: وخلاصه يشمل حياتنا الروحية بالغفران والفداء، وحياتنا المادية بالعناية والعطاء، فهو المخلِّص من الخطية (لو 19: 10) والمنقذ من الجوع (مز 36: 6) ومن الحرب (مز 27: 1-3) ومن المرض (لو 8: 36).

(ج) وبشَّر بالتقاء رحمة الله مع حقه: وهاتان الصفتان لا تتوافران معاً إلا في الفداء الذي دبَّره المسيح لنا على الصليب، ففي الصليب استوفى الحق والعدل حقوقهما، وفيه ظهرت رحمة الله ومحبته، وتحققت نبوة المرنم: «الرحمة والحق التقيا. البر والسلام تلاثما» (مز 85: 10).

ثالثاً - صلاة لطلب الإنقاذ

(آيات 11-17)

1 - المرنم يطلب الإنقاذ من الخطية: «أما أنت يا رب فلا تمنع رأفتك عني. تنصرني رحمتك وحقك دائماً. لأن شروراً لا تُحصى اكتنفتني. حاقت بي آثامي ولا أستطيع أن أبصر. كثُرت أكثر من شعر رأسي، وقلبي قد تركني» (آيتا 11، 12). يعلن المرنم عن ثقته في استجابة الرب له، فهو لا يمنع رأفته عن المؤمن الذي يعترف بفضل الله ويعلنه أمام الجماعة العظيمة. وكل من يعترف بالمسيح أمام الناس يعترف هو به أيضاً أمام الآب الذي في السموات (مت 10: 32) وهو يعلم أن رحمة الله وعدالته ستنصرانه في كل وقت، لأن الفداء السماوي يصالح العدل مع الرحمة.

ويدرك المرنم أن نجاته العظيمة هي من فضل الله، أما هو في ذاته فإن خطاياه كثيرة «لا تُحصى» وقد «كثُرت أكثر من شعر رأسه» و«اكتنفته» كطوفان، وأحاطت به بسهولة و«حاقت به» من كل جانب، حتى انحنى وخارت قواه ولم يعُد قادراً على الرؤية، و«تركه قلبه» وضاعت شجاعته. في مثل هذا الموقف قال داود: «أمواج الموت اكتنفتني. سيول الهلاك أفزعتني» (2صم 22: 5). وقال يونان وهو في جوف الحوت: «اكتنفتني مياهٌ إلى النفس. أحاط بي غمرٌ. التفَّ عُشب البحر برأسي» (يون 2: 5). وفي هذا الاعتراف بالخطية يثق المرنم في رحمة الله وغفرانه، فإنه «إن اعترفنا بخطايانا فهو أمين وعادل، حتى يغفر لنا خطايانا ويطهرنا من كل إثم» (1يو 1: 9). «الذي لم يشفق على ابنه، بل بذله لأجلنا أجمعين، كيف لا يهبنا أيضاً معه كل شيء!» (رو 8: 32).

2 - **المرنم يطلب الإنقاذ من الأعداء:** «ارتضِ يا رب بأن تنجيني. يا رب، إلى معونتي أسرِع. ليخزَ وليخجل معاً الذين يطلبون نفسي لإهلاكها. ليرتدَّ إلى الوراء وليخزَ المسرورون بأذيتي. ليستوحِش من أجل خزيهم القائلون لي: هه! هه!» (آيات 13-15). أنقذ الرب المرنم، لكن الخطر عاد يتهدَّده من مطارديه، ومن الساخرين به القائلين: «هه هه!» وهو صوت الوعيد والسخرية. إن مملكة إبليس لا تكف عن مقاومة ملكوت الله. حتى بعد أن هزم المسيحُ إبليسَ وانتصر على تجاربه الثلاث في الصحراء، يقول الإنجيل إن إبليس «فارقه إلى حين» (لو 4: 13). وهذا يعني أن انتصارنا يتطلب المزيد من اليقظة ومن الطاعة لله. فخلاصنا ونجاتنا لا يعني أن مشاكلنا قد انتهت، لكنه يعني أننا تعلَّمنا طريق حل المشاكل، بالتمسُّك بالرب الذي يجعل في أفواهنا ترنيمة شكر جديدة، على نجاة متجددة من ضيقات متجددة!

3 - **المرنم يطلب الفرح:** «ليبتهج ويفرح بك جميع طالبيك. ليقل أبداً محبّو خلاصك: يتعظمُ الرب!» (آية 16). لم يكتف المرنم بالصلاة لأجل نفسه، بل وسَّع دائرة اهتمامه، فأعلن أن العناية الإلهية تشمل كل من يحبون الرب بالبهجة والفرح، فيعطيهم الرب القلوب الشاكرة التي تختبر فرصة هتاف الانتصار: «يتعظم الرب». وقد أعلن الرسول بولس هتافه الظافر فقال: «جاهدتُ الجهاد الحسن. أكملتُ السعي. حفظتُ الإيمان وأخيراً قد وُضع لي إكليل البر الذي يهبه لي في ذلك اليوم الربُّ الديان العادل. وليس لي فقط، بل لجميع الذين يحبون ظهوره أيضاً» (2تي 4: 7، 8).

4 - **المرنم يعترف بالفضل:** «أما أنا فمسكينٌ وبائس. الرب يهتمُّ بي. عوني ومنقذي أنت. يا إلهي لا تبطئ» (آية 17). يعترف المرنم بالحاجة والمسكنة والبؤس، ولكنه واثق أن الله لن ينساه! صلى دانيال: «يا سيد اسمع. يا سيد اغفر. يا سيد اصغ واصنع. لا تؤخِّر من أجل نفسك يا إلهي، لأن اسمك دُعي على مدينتك وعلى شعبك» (دا 9: 19). يرى المرنم فقره المادي والعقلي والاجتماعي والعاطفي والروحي. ولكنه يرى في الوقت نفسه الله الغني، فيتأكد من تعزية الله له في وحدته وحزنه، ومن أنه سينصره في ضيقه ومتاعبه، ليختبر أن الله لا يتأخر أبداً عن محبّيه وطالبيه. يقول الله للمؤمن: «قد قرَّبتُ بري. لا يبعد، وخلاصي لا يتأخر» (إش 46: 13) فيقول المؤمن لله: «انتظاراً انتظرت الرب.. يا إلهي لا تبطئ».